دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

ثورة ابن مردنيش في شرق الأندلس وجهود الموحدين في القضاء عليها ٥٤٦ – ٥٦٧ هـ/ ١١٥٢ – ١١٧٢ م

أ.د. محمد عطا الله سالم الخليفات
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية معان الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية
المملكة الأردنية الهاشمية

مُلَخّص

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أكبر وأخطر الثورات التي قامت في بلاد الأندلس ضد الدولة الموحدية في مطلع عهدها وخاصة في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي وابنه أبو يعقوب يوسف، وهي ثورة محمد بن مردنيش (٥٤٦ –٥٦٧هـ/١١٥٢– ١١٧٢م) الذي استقل في منطقة شرق الأندلس، بلنسية ومرسية وما جاورها. وقد تناولت الدراسة بالبحث والتحليل التعريف بابن مردنيش، وكيفية تأسيسه لمملكته في منطقة شرق الأندلس، ولأهم الجهود التي بذلها خلفاء الدولة الموحدية في القضاء على هذه الثورة التي هددت كيان الدولة لقرابة عشرين سنة، كما ناقشت الكيفية التي انتهت بها الثورة وأثارها على الدولة الموحدية. معتمدة على المنهج التاريخي التحليلي والوصفي من حيث استنادها على المصادر الأصلية، وعلى القراءة الفاحصة والاستنباط وصولاً للحقيقة. وانتهت الدراسة بخاتمة تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٦ نوفمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٥ ديسمبر ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

ثورة؛ محمد بن مردنيش؛ الدولة الموحدية؛ بلاد الأندلس؛ غرناطة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.446493

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد عطا الله سالم الخليفات، "ثورة ابن مردنيش في شرق الأندلس وجهود الموحدين في القضاء عليها ٥٤٦-٥٦٧هـ/١١٥٢-١١٧٢م".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد السبعون؛ أغسطس ٢٠٢٥. ص ٨٢ – ١٠٤.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: makhliefat2020@yahoo.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

شهدت بلاد الأندلس مع نهاية حكم المرابطين حالة من الاضطراب والفراغ السياسي، إذ أدى تصدي المرابطين في بلاد المغرب للدعوة الموحدية إلى انشغالهم عن الاهتمام بالأندلس من ناحية، ومن ناحية أخرى سحب عدد كبير من قواتهم بالأندلس للاستعانة بها في مواجهة الموحدين، وهذا ما استغله الإسبان وبعض رؤساء الأندلس؛ فالإسبان تكالبوا على الأندلس واستطاعوا احتلال الكثير من الثغور والمدن الأندلسية، أما الرؤساء الأندلسيين فقد انتهزوا انشغال المرابطين بحرب الموحدين في المغرب، فثاروا عليهم وطردوا ولاتهم وأعلنوا أنفسهم حكامًا مستبدين في نواحيهم، حتى كادت الأندلس أن تعود سيرتها الأولى زمن ملوك الطوائف.

وجاء على رأس تلك الثورات التي قامت في بلاد الأندلس ضد الدولة الموحدية، واستطاعت أن تستنزف الكثير من جهد الموحدين ووقتهم ورجالهم وأموالهم، وشغلتهم عن الاستعداد لمواجهة العدو الرئيسي للدولة وهو الممالك الإسبانية، ثورة محمد بن مردنيش (٥٤٦-٥٦٧هـ/١١٥٢-١١٧٢م) الذي استقل في منطقة شرق الأندلس. وقد كافح الموحدون ضد هذه الثورة لأكثر من عشرين عامًا، لم يجنوا من ورائها بطائل، فبقيت بلاد شرق الأندلس – بلنسية ومرسية وما جاورها – طيلة حياة الثائر محمد بن مردنيش عصية على الموحدين، إذ عجز الخليفة عبد المؤمن بن علي عن استمالته أو إرغامه على الطاعة، واضطر ابنه الخليفة أبو يعقوب من بعده للاستمرار في منازلته لعله ينجح فيما لم ينجح فيه والده، ومع ذلك لم يستطع أبو يعقوب انتزاع ما تحت يد ابن مردنيش بالسيف، بل دانت له تلك البلاد بتسليم الأبناء على أثر وفاة الأب.

هذا وقد هدفت الدراسة منذ البداية إلى تسليط الضوء على ثورة ابن مردنيش، من حيث التعريف بابن مردنيش وكيفية تأسيسه لملكته في شرق الأندلس، والجهود التي بذلها زعماء وقادة الدولة الموحدية في القضاء على هذه الثورة، معتمدة على المنهج التاريخي التحليلي والوصفي من حيث استنادها على المصادر الأصلية، وعلى القراءة الفاحصة والاستنباط وصولاً للحقيقة.

أولاً: ابن مردنيش وتأسيس مملكته في شرق الأندلس

١/١-التعريف بابن مردنيش

هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد الجذامي بن مردنيش، ولد سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) بقلعة حصينة من أعمال مدينة طرطوشة[١](Tortosa) يقال لها بنشكلة (Peniscola)[٢]، ونشأ في أحضان والده سعد الذي كان يتولى آنذاك للمرابطين مدينة أفراغة[٣](Fraga) وما والاها من ثغور شرق الأندلس[٤]، فهو بذلك من أسرة ذات رئاسة أثرت في شخصيته، فمال للقيادة وعمره لم يتجاوز احدى وعشرون سنة.

وهناك تضارب في الروايات حول أصل ابن مردنيش، فالبعض يجعله من أصل عربي، ويرجعونه في نسبه إما إلى قبيلة جذام، وإما إلى قبيلة تجيب[٥]، والبعض الآخر جعله من أصل أسباني على اعتبار أن مردنيش أو مردانيش أو مرذنيش وهو الاسم الذي عرف به جده ليس اسمًا عربيًا، مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة، ولإزالة اللبس ما بين النسب العربي والأصل الإسباني، برر من تبنى الرأي القائل بأن ابن مردنيش من أصل أسباني بالقول "أن اصله من أهل شبه الجزيرة، وقد يكون جده مردنيش هذا دخل في ولاء بعض الجذاميين وانتسب إليهم، وهو فرض مقبول، لأن دار بطون جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بالأندلس كان شذونة[٦] والجزيرة وتدمير[٧] وإشبيلية"[٨].

ويرى بعض الباحثين أن أصل اسم مردنيش (Martinez)، وفي هذه الحالة كان ينبغي أن يكتب بالعربية: مرتينش أو مردينش، أما أن تكون صحة الاسم (Martine'z) لتتمشى مع النطق العربي فأمر غير ممكن، لأن هذا الاسم لا يمكن نطقه مع نبر المقطع الأخير[٩]، وهذا يقودنا إلى أن كتابة الاسم هو Mardonius أو Martinus، وهو من اسماء البيزنطيين الذين كانت لهم جالية كبيرة في قرطاجنة الحلفاء[١٠](Cartagena)، وقد يكون اسمه الإسباني (Martinez) ثم حرف إلى مردينش وخففت إلى

مردنيش بتقديم النون على الياء ليسهل نطقها بالعربية[١١] وهذا هو الراجح.

وأيًا كان الأمر، فإن الثابت أن ابن مردنيش من أصل أسباني، وأن جده اعتنق الإسلام فتسمى "محمد"، لينال بذلك شرف النسب العربي كسائر الأسر التي نشأت بجوار دار الإسلام وكانت ترنو إلى هذا النسب لأسباب دينية أو دنيوية، ولنا في صفات ابن مردنيش وسلوكه حسبما تصورها الرواية العربية دليلاً على صحة انتمائه إلى الأصل الإسباني، فقد كان شغوفًا بالتشبه بالنصارى في زيهم من اللباس الضيق، والسلاح، واللجم، والسروج الضخمة القرابيس، وكان يؤثر التحدث باللغة القشتالية على العربية، كما كان يكثر في جيشه من المرتزقة النصارى القشتاليين والبشكنس[١٢] والقطلان، وميزهم عن المسلمين بإقامة أحياء خاصة بهم زودها بمختلف أنواع الحوانيت وخاصة حانات الخمور، واتخذ منهم أعوانه وقادة جنده، وأغدق عليهم بالصلات والأعطيات الوفيرة من الأموال التي كان يحصلها من المسلمين من المغارم والرسوم على الأغنام والبقر والملاهي والأعراس والمواريث[١٣]، وذهب إلى أبعد من ذلك بأن أقطع أحد فرسان البشكنس وهو المسمى بيدرو دي أثاجرا (Pedro Ruiz de azaqra)، مدينة شنتمرية الشرق(Santa Maria de Albarra)[١٤] مع سائر مرافقها وأراضيها، فأنشأ فيها الفارس بيدرو أسقفية[١٥]. ولإعجاب النصارى بشخصية ابن مردنيش وشجاعته كانوا يسمونه بالملك لوبو (El Rey Lobo)، أي "صاحب الذكر الحميد"[١٦].

ولاستمالة الجند والقادة أخذ ابن مردنيش يغدق عليهم الأموال من ناحية، ويتسامر ويلهو معهم من ناحية أخرى، حتى ملك قلوبهم، ويصف لنا ابن الخطيب ذلك قائلاً: "كان له يومان في كل جمعة – الأثنين والخميس – يشرب مع ندمائه فيهما، ويجود على قواده، وخاصته وأجناده، ويذبح البقر فيهما، ويفرق لحومها على الأجناد، ويحضر القيان بمزاميرهن وأعوادهن، ويتخلل ذلك لهو كثير، حتى ملك القلوب من الجند، وعاملوه بغاية النصح"[١٧].

٢/١-تأسيس ابن مردنيش لمملكته في شرق الأندلس

ساعدت الظروف التي عاشتها الأندلس في أواخر عصر المرابطين ابن مردنيش على إنشاء مملكه مستقلة له في شرق الأندلس، إذ أدى ضعف الدولة المرابطية في أواخر عهد الأمير علي بن يوسف إلى جر الإسبان لاحتلال كثير من الثغور والمدن الأندلسية، وهذا ما دفع بعض الأمراء الأندلسيين عندما لاحظوا عجز الدولة المرابطية وضعفها عن حماية المدن الأندلسية، للقيام بحركات تمرد ضد ولاة المرابطين، فسيطر كل واحد منهم على بلد من البلدان الأندلسية، وكان من بين البلدان التي انتفضت على المرابطين بلنسية[١٨](Valencia) ومرسية وجميع شرق الأندلس[١٩]، وكانت بداية الثورة فيها في السابع عشر من رمضان سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وذلك بعد اثنى عشر يومًا من قيام ثورة قرطبة، وبعد أربعة أيام من ثورة مالقة[٢٠].

وتزعّم ثورة مرسية في بداية الأمر رجل من أهل لورقة(Lorca)[٢١] يدعى أبا محمد بن الحاج[٢٢]، ثم وبعد أقل من شهر دخل عليه عبد الله بن فتوح الثغري فأخرج ابن الحاج وتزعم هو الثورة في منتصف شوال من نفس العام، إلى أن قدم عليه زعيم آخر في نهاية شوال وهو ابن أبي جعفر[٢٣]، فاعتقل الثغري وصهريه، وتولى هو تدبير شؤون المدينة بقية العام وبداية عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وكان يقول في قيامه بالإمارة: "ليست تصلح لي، ولست لها بأهل، ولكني أريد أن امسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجيء من يكون لها أهل"[٢٤].

وحدث أن قتل ابن أبي جعفر على يد المرابطين عندما توجه إلى غرناطة مغيثًا لأهلها، فلما وصل خبر وفاته إلى مرسية، أجمع أهلها على تأمير أبي عبد الرحمن ابن طاهر[٢٥]، في أواخر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، وبقي ابن طاهر في أمرته أيامًا إلى أن خاطب أهل مرسية دون علمه أحد كبار الجند وهو عبد الرحمن ابن عياض[٢٦] ودعوه لتأميره على مدينتهم، فلما دخل ابن عياض المدينة في العاشر من جمادى الأولى من سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، ترك ابن طاهر القصر الكبير وانتقل إلى داره، وعفا عنه ابن عياض لعلمه بضعفه،

وحذا أهل بلنسية حذو أهل مرسية بتأميرهم عليهم ابن عياض، وبذلك استقامت الأمور لابن عياض أميرًا على شرق الأندلس جميعها، فعين ابن عياض صهره وهو محمد بن سعد ابن مردنيش واليًا على مرسية وأقام هو في بلنسية، وبقي ابن عياض مستقلاً في شرق الأندلس داعيًا لنفسه إلى أن قضى نحبه من سهم رمي به في بعض حروبه مع الروم في ٢٢ من شهر ربيع الأول سنة ٥٤٢هـ/٢١ آب ١١٤٧م، فحمله ابن مردنيش وقام بمواراته الثرى في بلنسية، وكان ابن عياض قد عهد بالأمر بعده إلى صهره ونائبه ابن مردنيش، فبايعه أهل بلنسية بالإمارة، وقيل بل نصبه أهلها لذلك دون عهد[٢٧].

وهكذا تولى أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) إمارة بلنسية ومرسية، واستقل بشرق الأندلس وسرعان ما استطاع ضم الحصون المجاورة إليه، فامتدت مملكته من بلنسية شمالاً إلى قرطاجنة جنوبًا، فعظم شأنه واشتهر ذكره[٢٨].

واستطاع ابن مردنيش بفضل قوة شخصيته وفطنته، وبسبب اعتماده على شخصيات قوية بارزة سواء من أقربائه أو من الزعماء الأندلسيين، إضافة إلى دخوله في أحلاف وعهود ومواثيق مع الممالك والإمارات النصرانية، أن يحافظ على وحدة إمارته وتماسكها في وجه مختلف القوى والتحديات التي كانت تهددها داخليًا أو خارجيًا، فيذكر ابن الخطيب أنه صاهر إبراهيم بن همشك ذو الأصول النصرانية والمعروف بشهامته وكفايته الحربية وعجمة لسانه، بزواجه من ابنته منذ أول ثورته، فكان ابن همشك خير معين لابن مردنيش، فقد كان جبارًا قاسيًا، شديد النكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق، حتى أنه كان يحرق بعضهم بالنار أحياءً، وبلغ من شدته أنه يأتي بالرجل فيربطه بين أغصان الأشجار بعد ضم بعضها لبعض، ثم يترك الأغصان، حتى يذهب كل غصن بجزء من أعضاءه[٢٩].

وتميزت علاقته بالممالك النصرانية بالودية وحسن الجوار، فمنذ أن استقرت له الأمور أرسل إلى ملوكهم صهره ابن همشك، فنجحت وساطته في عقد اتفاقيات سلم وتعاون فيما بينهم، فعقد مع صاحب برشلونة[٣٠](Barcelona) اتفاقًا لمدة أربع سنوات يدفع له بمقتضاها ابن مردنيش ضريبة مقدارها مائة ألف مثقال، ثم صالح ملك قشتالة[٣١](Castilla) مقابل أن يدفع له كذلك ٥٠ ألف مثقال ذهبًا سنويًا[٣٢]، وتجاوزت مصانعة ومهادنة ابن مردنيش الممالك النصرانية في أسبانيا إلى الممالك المسيحية المجاورة في أوروبا، حيث عقد في السنة الثانية لإمارته (٥٤٣هـ/١١٤٩م) اتفاقًا لمدة عشر سنوات مع جمهورية بيزة، ثم أتبعها معاهدة أخرى مع جمهورية جنوة تعهد بموجبها أن يدفع إتاوة قدرها ١٠ آلاف دينار لهذه الجمهورية تسدد على مدار عامين، مقابل تعهد الجنويين بأن لا يحدثوا اضرارًا لأحد من رعايا ابن مردنيش في طرطوشة والمرية، كما راسل ابن مردنيش كثيرًا من ملوك النصارى وبعث لهم بالهدايا القيمة، ومن ذلك هدية قيمة من الذهب والحرير والخيل والجمال بعثها إلى ملك انجلترا[٣٣].

وبذلك نجد أن ابن مردنيش كان حليفًا مخلصًا للنصارى الإسبان، ومناصرًا لهم على المسلمين منذ بداية إمارته على شرق الأندلس، هذا في الوقت الذي اجتاز فيه الموحدون الزقاق إلى الأندلس واستولوا على أغلب مدنها مما جعل مسألة الصدام بينه وبين الموحدين أمرًا حتميًا لا مفر منه، ويبدو أن النصارى ما وقفوا إلى جانب ابن مردنيش وشدوا من أزره، إلا لأنهم وجدوا فيه خصمًا عنيدًا للموحدين، كما أنهم رأوا فيه قوة أندلسية مسلمة تستطيع أن تحارب المسلمين بنفس القوة والأسلوب، بيد أن الدافع الرئيسي لمساعدة النصارى لابن مردنيش هو سعيهم لإبقاء المسلمين في حالة تفكك وفرقة، وعدم اتاحة الفرصة للموحدين للسيطرة على كل الأندلس الإسلامية[٣٤]، ومن هنا جاءت تسميتهم له بالملك لوبو، صاحب الذكر الحميد، لما كان له من دور كبير في تنفيذ مشاريعهم ومخططاتهم نيابة عنهم في الأندلس الإسلامية.

ثانيًا: جهود الموحدين في القضاء على ثورة ابن مردنيش

١/٢-على عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي[٣٥](٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م)

تعود جذور أول احتكاك بين الموحدين وابن مردنيش إلى عام ٥٤٦هـ/١١٥٢م، ففي هذا العام استولى ابن مردنيش على بسطة[٣٦](Baza) ووادي

آش[٣٧](Guadix)، مما جعل أملاكه تمتد إلى مقربة من مدينة جيان، التي كانت يومئذ قاعدة موحدية، وصادف أن شهد هذا العام أيضًا ثورة داخلية في بلنسية تزعمها عبد الملك ابن شلبان[٣٨] مستغلاً غياب ابن مردنيش في غزوته إلى نواحي بسطة ووادي آش، إلا أن ابن مردنيش تمكن من القضاء على الثورة واسترجاع بلنسية سنة (٥٤٧هـ/١١٥٣م) بعد حصار شديد، ومن ثم نكل بأهلها وأذاقهم أشد العذاب[٣٩].

ويبدو أن ثورة ابن شلبان كانت تعلن التوحيد، إذ لم يرق للخليفة الموحدي عبد المؤمن ابن علي قضاء ابن مردنيش عليها وتنكيله بالمشتركين فيها، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى ابن مردنيش والمؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة (٥٤٨هـ/١١٥٤م)، التي يدعو فيها ابن مردنيش إلى الدخول في الدعوة الموحدية، لافتًا نظره إلى مصير كل من خالف دعوته، ثم يلومه على ما كان منه في حق أهل بلنسية، حيث قال: "وتأملوا – سددكم الله – من كان بتلك الجزيرة – حرسها الله – من أعيانها وزعماء شأنها، هل تخلّص منهم إلى ما يوده، وفاز بما يدخره ويعده، إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى.. وأما من أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ورغب بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه، فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبه، وخسارة مذهبه ومطلبه. وحق عليكم أن تحسنوا الاختيار، وتصلوا الادّكار والاعتبار.. فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان.. وليس لذاك وأمثاله عاقبة تحمد.. وإنا لنرجو أن يكفكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى نظر موفق"[٤٠].

كانت تلك الأحداث التي شهدتها الأعوام (٥٤٦-٥٤٨هـ/١١٥٢-١١٥٤م)، على ما يبدو أول احتكاك يتم بين الموحدين وابن مردنيش، وعلى الرغم مما أبداه عبد المؤمن من سعة صدر في مبادرته لمخاطبة ابن مردنيش، وإتباعه دبلوماسية اللين والوعيد في خطب وده، إلا أن المصادر التاريخية خلت من أي تعبير يشير إلى اكتراث ابن مردنيش بالدعوة الموحدية، أو حتى التكلف بالرد على رسالة عبد المؤمن، ولعل نزعة ابن مردنيش الاستقلالية ورغبته بالانفراد بزعامة شرق الأندلس، فضلاً عن اعتماده على أعوانه النصارى، هو ما دفعه إلى نبذ الدعوة الموحدية، وما هي إلا ثلاث أو أربع سنوات حتى غدا من ألد خصوم الموحدين وأصلبهم عودًا، وأرسخهم قوة.

وبدلاً من أن يأتي الرد على عبد المؤمن من ابن مردنيش، جاء الرد من زعيم أندلسي آخر، كان قد ثار في مرسية وتغلب عليها قبل ظهور ابن مردنيش، وهو أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر القيسي، الذي خاطب عبد المؤمن برسالة طويلة تحت عنوان "الكافية في براهين الامام المهدي رضي الله عنه تعالى عقلاً ونقلاً"، حاول من خلالها أن يحصل على تأييد ونصرة عبد المؤمن ضد ابن مردنيش عن طريق محاولته اثبات أمر الامام المهدي وصدق امامته وعصمته وانتسابه لآل البيت بالدليل والبرهان[٤١].

ويذكر ابن الآبار أنه لما قوي سلطان ابن مردنيش وعظم شأنه اشتد خوف ابن طاهر منه، لما كان يسمع ويبصر من شهامته وحزمه، فأخذ في التلون وأقبل على الانهماك والإدمان، وزهد في الإمارة وطلب السلامة من غائلتها، وبقي طيلة فترة سلطة ابن مردنيش خائفًا، إلى أن توفي ابن مردنيش سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م)، فأفرج روعه، ورسخ بالدخول في الدعوة المهدية أمنه[٤٢].

وحدث في سنة (٥٥٤هـ/١١٦٠م) أول صدام مباشر بين ابن مردنيش والموحدين، عندما استغل ابن مردنيش انشغال عبد المؤمن بن علي بفتح المهدية وطرد النورماند منها، فسار إلى مدينة جيان واستولى عليها بلا قتال بسبب تواطئ واليها محمد ابن علي الكومي، وقد شجع سقوط جيان السريع ابن مردنيش للتقدم للاستيلاء على مزيد من البلاد، فتوجه إلى مدينة قرطبة ونازلها، إلا أن واليها أبو زيد عبد الرحمن ابن تجيت، أحسن مقاومته ونجح في رده[٤٣].

ليبدأ منذ هذا العام – (٥٥٤هـ/١١٦٠م)- النزاع العسكري بين ابن مردنيش والموحدين، وكانت الحرب سجالاً بينهما، فكانت النتيجة تتفاوت بين النصر تارة والهزيمة تارة أخرى، ففي أوائل عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) أرسل ابن مردنيش صهره ابن همشك للاستيلاء على قرطبة، فاجتاح أراضيها وانتسف زروعها، وقتل واليها عبد الرحمن بن تجيت، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء

عليها لتحصن أهلها بداخلها[٤٤]، غير ابن همشك لم يشأ أن يعود إلى صهره من غزوته هذه خالي الوفاض، فتوجه من مدينة قرطبة إلى مدينة قرمونة، حصن إشبيلية وبوابتها من الجهة الشمالية الشرقية، فاستولى عليها بمعاونة أحد زعمائها في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ/ آذار ١١٦٠م، ليستمر تغلب ابن همشك وسيده ابن مردنيش عليها زهاء السنتين، حتى تمكن الموحدون من استعادتها في شهر محرم من سنة ٥٥٧هـ/ كانون ثاني ١١٦٢م[٤٥].

وكان ابن همشك قد استغل ضعف دفاعات غرناطة، وغياب واليها السيد أبو سعيد عثمان عنها بمراكش، فسار إليها في نفس العام الذي استولى فيه على قرمونة، فاقتحم أسوارها بمساعدة يهود المدينة، وفر أنصار الموحدين إلى قصبتها، وأمام هذه الأنباء المزعجة بادر عبد المؤمن بتجهيز جيش متميز من خيار جنده عدته ما يقرب من ٢٠ ألف مقاتل، وأسند قيادة هذا الجيش إلى ابنه أبي يعقوب يوسف، فاتجه هذا الجيش صوب غرناطة وتمكن من استعادة المدينة بعد إلحاق هزيمة منكرة بابن همشك وصهره ابن مردنيش في المعركة المسماة بوقعة السبيكة في ٢٨ رجب سنة ٥٥٧هـ/١٣ تموز ١١٦٣م[٤٦].

ثم تطورت مسألة الأندلس في أواخر عهد الخليفة عبد المؤمن إلى قضية جهاد عام في أراضيها، فقام عبد المؤمن بإعداد جيش ضخم مكون من ثلاثمائة ألف فارس، وحشد أسطولاً ضخمًا من أربعمائة سفينة كبيرة جهزت في الثغور المغربية، لكن لم يقدر لعبد المؤمن تنفيذ مشروعه هذا بسبب مرضه الذي لازمه حتى وفاته وهو في طريقه للأندلس في مدينة سلا في جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/ أيار ١١٦٣م[٤٧]، تاركًا لابنه أبو يعقوب تنفيذ مشروعه الجهادي في الأندلس ضد ابن مردنيش والممالك والإمارات الإسبانية.

٢/٢-على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م)

ركز الخليفة أبو يعقوب يوسف سياسته في الأندلس، بعد أن خلصت إليه البيعة من كافة اخوته سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، على محورين هامين، أولاهما: استكمال السيادة الموحدية على الأندلس الإسلامية بوضع حد لثورة ابن مردنيش وانتزاع منطقة شرق الأندلس من قبضته، والمحور الآخر الجهاد ضد الإمارات والممالك النصرانية.

وما يهمنا هنا ثورة ابن مردنيش، فقد أولى أبو يعقوب يوسف اهتمامًا كبيرًا لمحاربة ابن مردنيش، الذي والى النصارى في داخل شبه الجزيرة الأيبيرية وخارجها، وناصب الموحدين العداء واحتل مدنًا أندلسية تابعة لهم[٤٨]، وكان أبو يعقوب يوسف وهو الذي خاض حروبًا طويلة مع ابن مردنيش أثناء ولايته لإشبيلية، يعي جيدًا خطر ابن مردنيش على المدن الأندلسية، التي كانت قواته قد دوخت بعضها، واقتحمت بعضها الآخر، فما ان ارتقى إلى أريكة الخلافة، حتى أخذ بتحفيز قواده في العدوة والأندلس للتصدي لهذا الغادر الذي ما برح في موالاة النصارى على حساب المسلمين، فاشتبك معه الموحدون في معارك ضارية[٤٩]، وكان أشهر هذه المعارك: معركة وادي لك، ومعركة فحص الجلاب.

٢/٢) ١-معركة وادي لك

كان ابن مردنيش قد انتهز فرصة انشغال الموحدين بأمورهم الداخلية عقب وفاة عبد المؤمن بن علي، فأخذ بمساعدة حلفائه من النصارى بمهاجمة قرطبة وإشبيلية، وألح عليهما بالغزو، فلما بلغ ذلك أبي يعقوب يوسف أمر بتجهيز حملة إلى الأندلس بلغ قوامها زهاء أربعة آلاف فارس معظمهم من العرب، وأسند قيادتها إلى شيخين من زعماء العرب، هما أبو سعيد يخلف بن الحسين وأبو عبد الله بن أبي يعقوب يوسف ابن وانودين، وهما من شيوخ الموحدين الذين اعتمد عليهم البلاط الموحدي كثيرًا في غزواته ضد الثوار سواء في المغرب أو الأندلس[٥٠].

جازت هذه الحملة البحر إلى الأندلس، وفور وصولهم إشبيلية بعثوا فرقة عدتها نحو خمسمائة فارس إلى مدينة بطليوس لتعزيز حاميتها ضد هجمات النصارى، بينما سارت بقية الحملة بقيادة الشيخين أبي سعيد وأبي عبد الله من إشبيلية إلى مدينة غرناطة، لحماية جهاتها وتعزيز قواتها الدفاعية في وجه غارات

قوات ابن مردنيش التي كانت تنشط في فصل الصيف[٥١].

وصلت الحملة إلى مدينة قرطبة، ثم استأنفت السير إلى غرناطة، وما كادت القوات الموحدية تخرج من أحواز قرطبة حتى التقوا على غير ميعاد بجمع من عسكر ابن مردنيش في وادي لك بالقرب من حصن لك، الواقع إلى الجنوب من غرناطة على مقربه منها[٥٢]، فنشبت بين الطرفين معركة عنيفة ظهر فيها من إقدام أبي عبدالله، وأعيان العرب، وصبر أهل عسكر الموحدين، ودفاعهم ما لم يظهر مثله في طيلة الحروب التي خاضها الموحدون مع ابن مردنيش، واستمرت المعركة طوال اليوم على شرب الماء في الوادي المذكور، غير أن تكافئ قوات الفريقين آلت إلى افتراقهم دون حسم المعركة، وكان ذلك في شعبان سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، وسميت هذه المواجهة بمعركة وادي لك[٥٣]، وكعادة الموحدين عقب كل معركة، كتب الشيخان أبو سعيد وأبو عبدالله إلى الخليفة أبو يعقوب في مراكش يطلعانه على مجريات المعركة، وعلى ما لقيه عسكر الموحدين من هول ومشقة في ساحة القتال، طالبين منه في الوقت نفسه العون والإنجاد[٥٤].

ويرى الغناي أن معركة وادي لك، انتهت إلى انتصار قوات ابن مردنيش، بدليل أن ابن صاحب الصلاة يشير إشارة إلى انتصار الموحدين، ولم يصرح بانتصار قوات ابن مردنيش، وهذه الإشارة أقرب إلى الدعاء بالنصر عنها إلى الإثبات، ويقدم برهانه على صحة رأيه بقوله: "هو أن قائدي الجيش بعثا برسالة إلى العاصمة الموحدية يطلبان فيها النجدة، وعند وصولها ذكر ابن صاحب الصلاة أن السيد الأعلى أبا حفص قد أخذته لله غيرة عظيمة وعسكر في يومه وأمر بالتغير إليهم والإسراع بالموحدين الصابرين ونخبة الفرسان الأبطال"[٥٥]. ولعل ما ذهب إليه الغناي أقرب إلى الصواب فميول ابن صاحب الصلاة وولائه الموحدي، لا يسمحان إليه إعلان الهزيمة، غير أن إشاراته فيها إيحاء للهزيمة مثل قوله وصول كتاب الشيخين إلى الأمير بمراكش " مستغيثين ملبين "[٥٦].

(٢/٢) ٢-معركة فحص الجلاب

لقي نداء الاستغاثة الذي بعث به الشيخان أبو سعيد وأبو عبدالله إلى مراكش بعد معركة وادي لك، استجابة سريعة من الخليفة أبو يعقوب وأخيه السيد أبو حفص عمر، فقررا محاربة ابن مردنيش في عقر داره والقضاء نهائيًا على ثورته، ولهذه الغاية جهز جيش كبير ضم حشد هائل من الموحدين وقوة من الفرسان والمقاتلين العرب، من قبائل رياح والأثبج وزغبة، يقودهم شيخهم علي بن محرز، بالإضافة إلى نحو ٤٠٠ فارس من فرسان المرابطين[٥٧]، وعندما اكتمل تجهيز الحملة التي سكتت المصادر عن ذكر قوامها، جاز بها السيد أبو حفص عمر إلى الأندلس وبصحبته أخوه السيد أبو سعيد عثمان والي قرطبة في ١٠ رمضان سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، فنزل في إشبيلية، وهناك انضمت إليه قوات الموحدين في الأندلس البالغة زهاء أربعة آلاف فارس، وعقد السيد أبو حفص أثر وصوله إشبيلية مجلسًا حربيًا ضم زعماء الموحدين، تدارسوا فيه الخطط اللازمة لمواجهة ابن مردنيش، واستقر رأيهم على مبادرة ابن مردنيش بالهجوم، ومحاربته في عقر داره[٥٨].

سار الجيش الموحدي من إشبيلية إلى قرطبة في أول ذي القعدة سنة ٥٦٠هـ/ أيلول ١١٦٥م، وكانت أندوجر(Andojar)[٥٩] أول مدينة ينازلها، وذلك لقربها من قرطبة من جهة، ولأن قوات ابن مردنيش كانت تتخذ منها منطلقًا للإغارة على قرطبة والعيث فيها من جهة أخرى، فاستولوا عليها عنوة، مما بث الرعب في قلوب أهل الحصون المجاورة لها فبادروا "بدخولهم في التوحيد، القريب منها والبعيد"[٦٠]، وأغار الموحدون على أحواز أندوجر واستولوا على الكثير من السبي والغنائم، فازدادوا نعمًا إلى نعمهم، وابتهاجًا بهذا الفتح الميسر الذي لم يستغرق من الموحدين إلا يومًا واحدًا[٦١].

الهب فتح حصن أندوجر الحماس في صفوف جند الموحدين، فتقدموا نحو بلاد ابن مردنيش فاتحين الحصون والقلاع في الطريق، دون أن تصادفهم أي مقاومة حتى وصلوا إلى نواحي مدينة بسطة، فأثخنوا في نواحيها بالغارات وانتزعوا منها الأقوات، واضطر أهل هذه النواحي إلى التحصن بقلاعهم، وهذا ما دفع

الموحدون إلى التجمع والتعسكر في وادي القشتالي المشرف على بسطة، لبعض الأيام في انتظار وصول تعزيزات عسكرية موحدية من جند ورماة من حامية غرناطة[٦٢]، وفي خلال مقام تلك الأيام انتهز السيد أبو حفص هذه الفرصة فبعث فرقة خاصة من أجناد الموحدين والعرب أغارت على نواحي غليره[٦٣](Galera) وقرباقة[٦٤](Caravaca) وجبال شقورة[٦٥](Sequra)، فغنموا من تلك الجهات نعم لا تحصى من الدواب والبقر والغنم، ولما وصل العسكر المنتظر من غرناطة تابعت الحملة مسيرها تجاه لورقة، واستطرد ابن صاحب الصلاة في إعطاء تفاصيل مسير الحملة، فيذكر أن الموحدين بعد أن استأنفوا زحفهم من نواحي بسطة، انتهوا إلى حصن قلية[٦٦](Cullar)، وكان أن بادر أهل ذلك الحصن إلى اعلان الولاء والطاعة من فورهم، ثم حاصر الموحدون مدينة بلش (بلج)[٦٧](Vilches) بما فيها من حصون وقلاع، فأذعن قائدها الذي اكتفى ابن صاحب الصلاة بتسميته الشرقي دون اعطاء مزيد من التفاصيل عنه، للتسليم والانصياع دون قتال أو صراع[٦٨].

ثم واصلت الحملة تقدمها نحو مدينة لورقة حتى وصلت إلى مشارفها، فلما انتهت هذه الأخبار إلى ابن مردنيش خشي سقوطها بيد الموحدين، فحشد جميع أهل شرق الأندلس وكل من له عليه طاعة، وأرسل إلى حلفائه النصارى في قشتالة وأرغونة[٦٩](Aragon) طالبًا العون والنجدة[٧٠]، فحضر إليه من نواحيهم ثلاثة عشر ألفًا[٧١]، وخرج بهم ابن مردنيش من مرسية لاعتراض طريق الموحدين، عند لورقة والحيلولة دون تقدمهم إلى مرسية، ويذكر البيذق أن الموحدين ملكوا لورقة ووحدوا أهلها قبل وصول ابن مردنيش[٧٢]، ونزل ابن مردنيش بجمعه المضيق الجبلي المؤدي من لورقة إلى مرسية، مغلقًا بذلك الطريق على الموحدين، ولما رأى السيد أبو حفص صعوبة اختراق هذا الطريق الجبلي الوعر، وجه الحملة إلى التحول إلى غرب لورقة، ومن هناك انحدروا إلى السهل المسمى "الفندون" وهو السهل الواقع بين لورقة وقرطاجنة، ثم اخترقوا السهل نحو مرسية[٧٣]، وابن مردنيش يسير في عسكره بمحاذاتهم عن طريق الجبل، فلما كان ظهر يوم الجمعة ٧ ذي الحجة ٥٦٠هـ/١٥ تشرين أول ١١٦٥م وصل الموحدون إلى فحص مرسية، الكائن على بعد عشرة أميال من مرسية ونزلوا بموضع منه يعرف بـ "فحص الجلاب"، هذا في الوقت الذي عسكر فيه ابن مردنيش بقواته قبالتهم[٧٤].

وفي الحال أخذ الجانبان التأهب والاستعداد للقتال، فالموحدون على ما جرت عليه عادتهم عند كل حرب يخوضونها، قاموا بتمييز جيشهم حسب أجناسهم وصنوفهم لكي يعرف كل قبيل وصنيعه، وذلك لأنه كان لكل جنس وصنف في الدولة الموحدية رتبة لا يتعداها غيرهم، ولا ينزل كل صنف إلا في موضعه لا يتعداه[٧٥]، فنظمت قبائل الموحدين من أهل هرغة وتينملل وهنتاتة وجدميوة وجنفيسة وغيرهم من قبائل الموحدين في صفوف ومواضع خاصة، كذلك الأمر بالنسبة للعرب من قبائل الهلاليين والرياحين والجشمين والزغبين، كما نظم جند المرتزقة والعبيد من حرس الخليفة في صفوف ومواضع، ثم تعاهد الجميع على الثبات والصبر في ساحة القتال حتى يكتب لهم أحد أمرين، إما النصر أو الشهادة في سبيل الله[٧٦].

ويظهر أن هذا التنظيم الذي اعتاد عليه الموحدون في حروبهم كان يعطي حافزًا للقبائل حسب أجناسها لبذل أفضل ما عندها في الحرب، والثبات في ساحة القتال، لما لذلك من أثر في احداث التنافس بين القبائل المشاركة لتحقيق النصر من جهاتها، أو على الأقل ألا تكون سببًا في الهزيمة.

ويبدو أن ابن مردنيش كان له أسبقية البدء بالقتال، اذ ما أن حط بجيشه قبالة الموحدين، حتى بادرهم بالهجوم، وكان ذلك مع وقت الزوال متبعًا في البداية اسلوب الكر والفر لمعرفة مدى قوة الموحدين، فأغار أولاً على أجناد العرب، ثم عاد وهاجم أجناد الموحدين في كرتين متتاليتين[٧٧]، ويذكر ابن الخطيب أنه والى الكر المرة بعد المرة[٧٨]، ثم نشبت بعد ذلك معركة عظيمة بين الفريقين، أبلى فيها الموحدون والعرب أشد البلاء، واستمرت المعركة حتى مغيب الشمس، وانجلت عن انهزام ابن مردنيش، بعد أن أوقع الموحدون بجيشه مقتلة عظيمة، حتى أن ابن أبي زرع يذكر أن الموحدين قتلوا في هذه المعركة جميع من مع ابن مردنيش من القوات النصرانية البالغ عددهم ثلاثة عشر الفًا[٧٩].

وفر ابن مردنيش على ضوء الهزيمة فيمن بقي معه من فلول قواته، فارتد إلى مرسية مستغلاً في ذلك جنحة الظلام، وامتنع بداخلها، بينما بات الموحدون ليلتهم في ساحة المعركة، فلما كان صباح اليوم التالي ٨ ذي الحجة /١٦ تشرين أول، سار الموحدون في أثر ابن مردنيش حتى نزلوا بظاهر مرسية، ومن فورهم بدأوا بالغارات على أحوازها، يتلفون زروعها، ويدمرون بساتينها، واستمروا على ذلك مدى أيام حتى امتلأت أيديهم بالغنائم والأقوات، وكانوا قد عيدوا هناك عيد الأضحى، ووصلت طلائعهم إلى مدينتي أوريولة[٨٠](Orihuela) وألش(Elche)[٨١]، ومن مضرب محلتهم بظاهر مرسية بعث السيدين أبو حفص وأبو سعيد إلى الخليفة أبي يعقوب بكتاب الفتح والبشرى، يطلعانه فيه على الفتح العظيم الذي حققه الموحدون على ابن مردنيش، فوصل الكتاب إلى حضرة الخليفة بمراكش صبيحة يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة من العام المذكور، فقرئ الكتاب أولاً في قصر الخليفة ثم قرئ في المسجد الجامع على كافة الناس، واحتفاءً بهذه البشرى ارتفعت أصوات التكبير والتهليل، وضربت الطبول وعم السرور، سائر بلاد العدوة[٨٢].

هذا وقد ارتأى السيدان أبو حفص وأبو سعيد إلى رفع الحصار عن مرسية بعد عدة أيام، وذلك بعد أن قاما بوضع حاميات موحدية في الحصون التي استولوا عليها، وعادا أدراجهم دون أن تذكر الروايات تعليلاً لذلك[٨٣]، ولما وصلا إلى قرطبة تخلف بها السيد أبو سعيد بإذن الخليفة ليتولى بها مهام منصبه في الولاية عليها، بينما جاز السيد أبو حفص البحر عائداً إلى مراكش، فوصل إليها في ضحى يوم السبت ١١ ربيع الآخر من سنة ٥٦١هـ/ ١٥ كانون ثاني ١١٦٦م، واستمر احتفال الموحدين بعودة العسكر من الأندلس لمدة خمسة عشر يومًا، عم خلالها النعيم والسرور على جميع الموحدين[٨٤].

ومما تجدر ملاحظته هنا أن حملة الموحدين على بلاد ابن مردنيش في شرق الأندلس سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، قد نجحت في تحقيق أهدافها، وأن معركة فحص الجلاب، قد أتت اكلها، إذ افرزت لنا مجموعة من النتائج، لعل من أهمها:

١. انتزاع الموحدين عدداً من الحصون والقلاع من يد ابن مردنيش، كان أهمها حصن أندوجر الذي لم يفتأ في تشكيل خطر دائم على سلامة مدينة قرطبة.

٢. تأديب ابن مردنيش من خلال ضربه في عقر داره، ومحاصرته في قاعدة ملكه.

٣. تكبيد ابن مردنيش وحلفائه خسائر فادحة وصلت إلى أكثر من ثلاثة عشر ألف قتيل من قوات التحالف النصرانية.

٤. أظهرت الحملة ضعف ولاء أهل شرق الأندلس لابن مردنيش، بدليل تسابق أهل الحصون وقادتها لإعلان الطاعة والتوحيد بمجرد وصول الموحدين اليها، مثال ذلك حصن قلية، وحصون وقلاع مدينة بلش.

٥. كانت موقعة فحص الجلاب بداية النهاية لثورة ابن مردنيش، فقد توالت الهزائم عليه بعد ذلك، وتشتت قواه، وانحطت مكانته بين أنصاره ومؤيديه.

٦. شكل انتصار فحص الجلاب محفزًا قويًا للموحدين للقضاء نهائيًا على ثورة ابن مردنيش.

(٢/٢) ٣-تزعم والي غرناطة الشيخ أبو عبد الله الهزرجي حرب ابن مردنيش

كان أول ما التفت اليه الخليفة أبو يعقوب يوسف بعد انتهاء احتفالات النصر على ابن مردنيش في فحص الجلاب، هو تعيين والي لإشبيلية التي كانت إمارتها شاغرة منذ توليه الخلافة سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م)، فقرر بعد مشاورة أخيه السيد أبو حفص أن يعين لولايتها الشيخ أبا عبدالله وهو ابن الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلالى الهزرجي أحد أصحاب المهدي العشرة[٨٥]، وعين لمعاونته وزيرًا هو أبا يحيى زكريا ابن يحيى بن سنان، لعلمه ونجابته، وتكريمًا لأبيه الذي كان من أهل خمسين، وكان أبو عبدالله قد وصل إلى إشبيلية يوم الخميس مطلع شهر رجب من سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م)، غير أنه لم تكد تمض سوى أشهر قلائل على انفراده بولاية إشبيلية، حتى أرسل الخليفة أبو يعقوب أخوه السيد أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن والياً على إشبيلية وتقرر أن يبق معه الشيخ أبو عبدالله بحيث يتولى الأمور العسكرية، ثم أصدر الخليفة أبو يعقوب أمره بتعيين

الشيخ أبو عبدالله واليًا على غرناطة وذلك في أواخر شعبان من سنة (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، فخرج إليها أبو عبدالله من إشبيلية في مطلع شهر رمضان وبصحبته حفاظه الواصلين معه من مراكش، ليستقر أمره في ولاية مدينة غرناطة حتى جمادى الأولى من سنة ٥٦٤هـ/ شباط ١١٦٩م[٨٦]، وكان له خلال هذه المدة جهاد ومنازلات مع ابن مردنيش خلدت ذكراه.

فابن صاحب الصلاة يشير إلى أنه ما كاد أن يصل إلى مقر ولايته الجديدة غرناطة، حتى خرج غازيًا إلى حصن لبسة (Labas) الواقع بين غرناطة ووادي آش في منتصف المسافة بينهما[٨٧]، وذلك أن ابن مردنيش كان قد أسكن في هذا الحصن قوة من أحلافة النصارى، واستخدمهم في الاغارة على أحواز مدينة غرناطة بين الفينة والأخرى، لإحداث القلاقل والروع بين أهلها، ونشر الخراب والدمار في أنحائها، وبلغ من أمرهم أن وصلوا إلى أسوار مدينة غرناطة في فاتحة عهده، فهاجم أبو عبدالله الحصن بشدة، وافتتحه عنوة، وأخرج جميع من كان فيه من النصارى، ثم هدمه وخربه، مخلّصًا بذلك أحواز غرناطة من شره، وعاد ظافرًا إلى غرناطة في يومه، وكتب للخليفة أبو يعقوب يخبره بفعله وغزوه، فجاوبه الخليفة برسالة مؤرخة في التاسع من ذي الحجة من سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) يعرب فيها عن شكره ورضاه، داعيًا إياه لمواصلة جهاد أعداء الدين من نصارى وخارجين[٨٨]، وهذا ما شجعه لغزو حصن بسطة من نفس العام، كما ألحق هزائم متكررة بقوات ابن مردنيش وحلفائه الإسبان[٨٩].

وفي جمادى الآخرة من العام التالي بعث ابن مردنيش بعض قواته من النصارى المرتزقة للإغارة على نواحي مدينة رندة[٩٠](Ronda)، فغزوا وادي شنيل وتقدموا جنوبًا حتى وصلوا أحواز رندة، محدثين الخراب والفساد في المنطقة، فلما بلغ أنباء ذلك إلى الشيخ أبي عبدالله، بادر بإرسال قوة موحدية من حامية غرناطة قطعت على النصارى طريق عودتهم وهم بالغنائم منصرفون، على مقربة من وادي آش، وعندما عاين النصارى جيش الموحدين لجأوا إلى جبل قريب لعله يأويهم، إلا أن الموحدين صعدوا عليهم الجبل والتحموا معهم في موقعة عنيفة استمرت من صلاة الظهر إلى وقت العصر، انتهت بانتصار الموحدين، وأسرهم ثلاثة وخمسين رجلاً من النصارى، استاقوهم إلى غرناطة فضرب الشيخ أبو عبدالله أعناقهم[٩١].

(٢/٢) ٤-دخول ابن همشك في طاعة الموحدين ومنازلته ابن مردنيش

ساءت أوضاع ابن مردنيش في أعقاب هزيمة فحص الجلاب ومحاصرة الموحدين لقاعدة ملكه ومقر رئاسته، لدرجة أنه فقد الثقة في أقرب الناس لديه، فأخذ بالإكثار من جموع النصارى واتخذ منهم أجنادًا وأنصارًا له، في حين عمل السيف وتفنن في قتل كل من شك في ولائه له من أهل شرق الأندلس، وفي ذلك يقول المراكشي: "تنكر أكثر الرعية له، فقتل من اولئك القادة والذين اتهمهم جماعة بانواع القتل، بلغني أن منهم من بنى عليه في حائط وتركه حتى مات جوعًا وعطشًا، إلى غير هذا من ضروب القتل، واستدعى النصارى، فجعلهم أجنادًا له، واقطعهم ما كان اولئك القادة يملكونه، وأخرج كثيرًا من أهل مرسية وأسكن النصارى دورهم"[٩٢].

ويؤكد ابن الخطيب ما جاء به المراكشي فيقول: "وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت"[٩٣]، ويقول في موضع آخر: "واستعان بهم – أي النصارى – على تدبيره، ورتب منهم اعوانًا وجندًا، وأفرد لهم بمرسية منازل من الحانات والبيع، واضطر إلى المال، فتحيف الرعية بكل وجه من وجوه الجور"[٩٤].

وكان ابن مردنيش قد بدأ انقلابه على أعوانه وكبار قادته بنكبته لصهره يوسف ابن هلال، حيث كان يوسف هذا أميرًا شجاعًا حازمًا، فاحظاه ابن مردنيش وصاهره، وأقطعه حصن مطريشة[٩٥](Moutornes) ومواضع كثيرة، ثم لم تلبث أن ساءت العلاقة بينهما بعد موقعة الجلاب فقبض عليه ابن مردنيش ونكبه وعنف به واستخلص ما كان تحت يده وتركه، فلجأ ابن هلال إلى ميرتلة وثار بها، وتحالف مع صاحب برشلونة مقابل تصيير كل ما يملكه له، فأعانه بخيل من النصارى، استطاع به أن يوقع هزيمة نكراء بابن مردنيش في عقر داره بلنسية[٩٦].

أثار تنامي قوة ابن هلال في مورتلة وما جاورها غضب ابن مردنيش، فلجأ هو الآخر لطلب النجدة من حلفائه النصارى في قشتالة، فسيروا له جريدة خيل مكنت ابن مردنيش من غزو مورتلة، فلقي ابن هلال صدفة خارج مورتلة فقبض عليه وهدده بإخلاء مورتلة وإلا نزعت عينه فأبى ذلك، فأمر ابن مردنيش فأخرجت عينه اليمنى بعود، ثم قرب من مورتلة وطلب من زوجته وأصحابه إخلاء الحصن أو تخرج عينه الأخرى، فلم يجبه أحد، فأخرجت عينه اليسرى[٩٧]. ثم اتبع ابن مردنيش ذلك قتل وزيريه ابني الجذع[٩٨]، وبناهما في الحائط بمرأى منه، وقتله لابن صاحب الصلاة الغرناطي وغيره بالجوع[٩٩].

أثرت هذه المشاهد في نفسية ابن همشك، فخاف على نفسه من صهره، فانقطع عن مواصلته وزيارته، ويذكر ابن الآبار أن بداية الخلاف بينهما كان في سنة (٥٦٢هـ /١١٦٦م)، بعد الوقيعة العظمى بفحص الجلاب[١٠٠]، ويبدو أن مما زاد الخلاف بينهما ما أقدم عليه ابن مردنيش من إعلانه طلاق ابنة همشك وطردها إلى أبيها مهانة[١٠١]، ويجعل ابن الخطيب حادثة الطلاق تلك سبب الشحناء والعداوة بين ابن مردنيش وابن همشك، وفي ذلك يقول: "ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيش بسبب ابنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنيش إلى أن طلقها، وانصرفت إلى ابيها، وأسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقها"، ويضيف ابن الخطيب أن والدها عندما سألها عن ابنها قالت: "جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لي به، فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلاً"[١٠٢]، ويذكر ابن صاحب الصلاة شيء بهذا المعنى عن سبب الخلاف، فيقول: "وطلق ابن مردنيش في هذه المدة ابنة إبراهيم بن همشك طلاقًا بتلاً، وبانت عن عصمته بيانًا، وطردها إلى أبيها مهانة مستهانة باكية بدموعها إصراره وهجرانه، فغشيه من حديثها الكرب، واتصلت في نفسه له الحرب"[١٠٣].

وعلى الرغم من أن حادثة طلاق ابنة همشك قد تكون مبررًا قويًا لحالة الخلاف التي نشبت بين ابن مردنيش وابن همشك، إلا أن ذلك لا يعني أنها السبب الأوحد لانقطاع الوصل بين الزعيمين، فبوادر الخلاف وملامح الانشقاق كانت قد ظهرت قبل ذلك بفترة عندما تأخر ابن همشك عن مساعدة صهره ابن مردنيش في الدفاع عن بياسة[١٠٤](Baeza) رغم وجوده في جيان على مقربة منها[١٠٥]، هذا ناهيك عما تشير إليه الروايات من انقطاع العلاقة وانعدام الزيارة زمانًا بين ابن مردنيش وابن همشك، قبل حادثة الطلاق، لا بل يشير ابن الآبار أن ابن مردنيش وطئ أعمال ابن همشك ودوخها، ثم التفت إلى زوجته ابنة غريمه فطلقها[١٠٦]. ومن هنا يمكننا التوفيق بين الروايات المختلفة، بالقول إن طلاق ابن مردنيش لزوجته ابنة همشك كانت قاصمة الظهر التي قضت على أي مجال للعودة إلى سابق العلاقة بينهما، هذا إن لم تكن حادثة الطلاق نتيجة من نتائج ذلك الخلاف.

وكيفما كان الأمر، حدث الانشقاق، وفسدت العلاقة بين الحليفين السابقين، ابتداءً من سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م)، وتطورت الأمور بينهما تباعًا إلى أن نشبت بينهما حروب عنيفة هلك فيها كثيرًا من رعايا الطرفين، وأدت إلى محنة وفتنة شديدة، نجم عنها استيلاء ابن مردنيش على الكثير من أملاك ابن همشك[١٠٧]. وعندما عجز ابن همشك عن الصمود في وجه ابن مردنيش وغزواته المتواصلة التي استمرت لمدة عامين متتالين، استغل في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) وصول رسالة الخليفة أبو يعقوب إلى ابن مردنيش والمؤرخة في الأول من رمضان من سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، والتي تتضمن تجديد الدعوة لابن مردنيش للدخول في طاعة الموحدين، وذلك بعد أن كان والده الخليفة عبد المؤمن قد كتب له بهذا الشأن في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م). مبينًا له أن دخوله في طاعة الموحدين يعني العفو عما سلف والحفاظ على مركزه ومكانته كحاكم لشرق الأندلس، هذا ناهيك عن المكاسب الروحية التي تتمثل في "سعادة الأبد، ومنال النعيم السرمد" في حال تعلقه بالدعوة الموحدية، ومنوهًا له في الوقت نفسه أن الشيخ أبو حفص عمر قد جاز للأندلس في هذه المده بنية الجهاد والغزو، ولكنه مع ذلك أمره أن لا يقترب من أملاكه ولا يبادره بالهجوم، إلى حين يأتي رده، فإن كان الجواب قبول الطاعة والتوحيد سلم وغنم، وإن كان غير ذلك فقد خاب مكدحه[١٠٨].

وما أن خلص لعلم ابن همشك خبر تلك الرسالة حتى سارع إلى إعلان الطاعة والتوحيد كسبيل له للخلاص من نير ابن مردنيش والحفاظ على ما تحت يده من أملاك، وفور وصول الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي بمن معه من قوات موحدية إلى قرطبة بادر إلى مكاتبته عارضًا عليه توبته وتمكين الموحدين من جميع ما تحت يده من بلاد[١٠٩].

رحب الشيخ أبو حفص بتوبة ابن همشك وطاعته، وعلى ضوء ذلك سار ابن همشك إلى قرطبة في رمضان عام ٥٦٤هـ/ حزيران ١١٦٩م، فاستقبله واليها السيد أبو إسحاق إبراهيم والشيخ أبو حفص وأكابر الموحدين استقبالاً في غاية الود والترحيب، فبادلهم ابن همشك حسن الاستقبال بأن أعلن أمامهم أنه قد "عاهد الله تعالى بالتزام الأمر العزيز المطاع، والدخول في حكم التوحيد بأكمل الإجماع"[١١٠]، واتبع ابن همشك إعلانه التوحيد في قرطبة، أن كتب للخليفة أبو يعقوب في مراكش يعلن له توبته ويبلغه دخوله في طاعته، سائلاً إياه العفو وحسن المثاب، فجاوبه الخليفة بالقبول، وأمر بتقريبه وإكرامه، وبذلك اتصلت البلاد التي كانت بيد ابن همشك اعتبارًا من منتصف عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) ببلاد الموحدين، وارتفع ما كان بتلك النواحي من مرق ونفاق[١١١].

أما عن موقف ابن مردنيش من توحيد ابن همشك وردت فعله على ذلك، يذكر ابن عذاري أن خبر توحيد ابن همشك نزل كالصاعقة عليه، إذ ما أن علم بذلك حتى سقط على يده، فكسر ساعده من عضده، وانتقاما من الاثنتين، حملتة الأنفة والعجلة أن وجه قادته وأجناده لمهاجمة بلاد ابن همشك، فألحت قواته عليه مدة أكثر من سنة كاملة، ويبدو أن ابن همشك لم يستطع أن يحتمل هجمات ابن مردنيش، فأرسل يستغيث بالموحدين عليه ويستصرخهم إلى غزوه[١١٢]. فكان أن كتب بذلك أولاً، ثم عندما استبطأ قدوم الموحدين لنجدته، أرسل وزيره أبو جعفر[١١٣] إلى مراكش في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) مهنئًا الخليفة بعيد الفطر، ومستصرخًا إياه على ابن مردنيش الذي تغلب على الكثير من معاقله[١١٤].

ويظهر أن هجمات ابن مردنيش كانت مؤلمة بالنسبة لابن همشك، إلى حد جعل ابن همشك يسير بنفسه إلى مراكش عام (٥٦٥هـ/١١٧٠م)، فالتقى بالخليفة الذي اعترف له بمكانته وأقره على ما في يده[١١٥]، ثم قرر الخليفة بعد مشاورة أكابر وأشياخ الموحدين، أن يرسل اخيه السيد أبو حفص بعسكر ضخم لغزو ابن مردنيش وحلفائه النصارى، استجابة لنداء استغاثة ابن همشك، خاصة بعد أن أكد الشيخ أبو حفص الهنتاتي من قرطبة صدق ابن همشك فيما استغاث به من عدوه[١١٦].

(٢/٢) ٥-نهاية ثورة ابن مردنيش وسقوط مملكته

بناءً على ما أجمع عليه رأي الموحدين من تسيير حملة ضخمة لغزو ابن مردنيش وحلفائه النصارى بعد أن ثبت صدق استغاثات ابن همشك، خرج السيد أبو حفص عمر من مراكش في أول شهر ذي القعدة سنة (٥٦٥هـ/ آب ١١٧٠م)، على رأس جيش ضخم مؤلف من عشرين الفًا من الموحدين والمتطوعة، فجاز البحر من أقرب النقاط إلى جزيرة طريف، وبصحبته أخوه السيد أبو سعيد عثمان، وجماعة من أشياخ الموحدين؛ مثل أبو عبدالله بن أبي إبراهيم والي غرناطة، وعدد من زعماء الأندلس مثل محمد سيدراي بن وزير، وأخيه أبا الحسن علي وزيره، هذا إلى جانب مجموعة من القادة النازلين في مراكش في تلك المدة، صحبهم للاستفادة من معرفتهم بالأندلس وحروبها. ووصل في عسكره إلى إشبيلية في أوائل عام ٥٦٦هـ/ أيلول ١١٧٠م، وهناك وافاه من قرطبة الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي وإبراهيم بن همشك، فتم عقد مجلس حرب شارك فيه بالإضافة إلى السادة اخوة الخليفة وولاة الأندلس ممثلين عن أشياخ وقادة وزعماء الأندلس والعدوة من عرب وموحدين، وتقرر توجيه قوة عسكرية بقيادة السيد أبو سعيد إلى مدينة بطليوس لتأمين تلك الجهات من غارات النصارى التخريبية، في حين تتأهب بقية الحملة لما هو قادم حتى ينظر ما يعود به السيد أبو سعيد من خبر[١١٧].

وفِّق السيد أبو سعيد في غزوته تلك إذ أجبر مملكة البرتغال على توقيع الصلح[١١٨]، ثم عاد بجيشه إلى إشبيلية في ربيع الأول سنة ٥٦٦هـ/ تشرين ثاني ١١٧٠م،

وما كاد يصل إشبيلية، حتى عقد السيد أبو حفص اجتماعًا حربيًا مع صفوة القادة والزعماء الموحدين، استقر فيه الرأي على غزو بلاد ابن مردنيش وتحطيم سلطانه بلا رجعة[١١٩].

وبدأ تحرك الجيش الموحدي لتحقيق هذه الغاية في أول شهر رجب من سنة (٥٦٦هـ/ آذار ١١٧١م)، فلما وصلوا قرطبة أقاموا فيها أيامًا، وبعد أن نظموا صفوفهم تنظيمًا هجوميًا، زحفوا نحو مرسية، فكانت أول مدينة ينازلونها من بلاد ابن مردنيش مدينة قيجاطة (Quesada)[١٢٠] فافتتحوها بعد قتال ونزال، وقبض على حاكمها الشرقي وضرب عنقه بمشورة ابن همشك، ثم استأنفوا زحفهم نحو مرسية، فاستولوا في طريقهم على بسائط واسعة لابن مردنيش، حتى وصلوا إلى فحص مرسية، فاستولوا أولاً على حصن الفرج (Aznalfarache) المحاذي للمدينة خارج أسوارها، وكان متنزهًا لابن مردنيش، ثم استباحوا الجنان والبساتين وكل ما اتصل بمدينة مرسية من بسائط وقرى، وابن همشك في هذه الأثناء يدل الموحدين على أسهل الطرق وأيسرها، ومواطن ضعف ابن مردنيش وعوراته، مما أذهب عنهم مفاجآته وروعاته، وما هي إلا أيام حتى كان الموحدون يحاصرون مرسية أشد الحصار[١٢١].

أما عن ابن مردنيش فقد لجأ خلال هذه الأثناء إلى استصراخ حلفائه النصارى لإنجاده، لكن على ما يبدو أنهم شعروا بدنو عاقبته، فنكسوا عن مساعدته، إذ آثروا الاحتفاظ بجنودهم لمواجهة ما تشكله القوات الموحدية الكثيفة من خطر على ممالكهم، ولم ينجدوه إلا بنحو أربعمائة فارس[١٢٢]، بعث بهم إلى مدينة لورقة، حصن مرسية الأمامي، للانضواء تحت قيادة أبي عثمان بن عيسى، أنجب قادته وأخلصهم، فضبط أبي عثمان بهم المدينة وحصنها، لكن عندما طالت مدة حصار الموحدين لمرسية، وشعر الناس أن أمر ابن مردنيش زائل لا محالة؛ لما اشيع بينهم من اضطراب أحواله، واعتلاله بالمرض، ثارت العامة من أهل مدينة لورقة، ودعوا للموحدين، وقاموا بمحاصرة قائد المدينة أبي عثمان ومن معه من نصارى وأعوان لابن مردنيش في قصبة المدينة، وبعثوا في الوقت نفسه إلى السيد أبي حفص بمحلته بظاهر مرسية يعلنون دخولهم في دعوة التوحيد، ويسألونه النصرة والإنجاد[١٢٣].

لم يصدق السيد أبي حفص خبرًا، فاقلع من حينه ببعض قواته إلى لورقة، فملكها واستوطن أرباضها، وأصر أبي عثمان ومن معه من عسكر وأعوان على التحصن في قصبتها، ومن لطيف الله وقدره أن وقع محمد ابن القائد أبي عثمان في قبضة سرية من جند الموحدين أثناء تجوالها في أحواز المدينة، فسيق للسيد أبي حفص الذي أمر أن يحمل إلى جوار القصبة على مرأى من أبيه، عسى أن يدفعه ذلك إلى التسليم، إلا أن أبا عثمان استمر في عناده وامتناعه، فضيق عليه الموحدون الحصار حتى نفذت ما لديه من مؤن وأقوات، وتحت ضغط الجند النصارى الذين الحوا عليه بالقول والكلام، أذعن أبو عثمان لرأيهم في التسليم، بعد أن منحه الموحدون الأمان على نفسه وجنده ومن معه من نصارى، وهكذا سلمت القصبة، ودفع الموحدون الابن إلى أبيه الذي انصرف مع صحبه إلى مرسية، وانصرف الجند النصارى إلى بلادهم، لتخلص بذلك مدينة لورقة للموحدين، وبعد أن اطمأن السيد أبو حفص على تأمين جهاتها غادرها على الفور ومن معه من موحدين ليمضي في حصاره لمدينة مرسية[١٢٤].

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن السيد أبو حفص ما أن وصل محلته بفحص مرسية، حتى قدم عليه أهل حصن ألش معلنًا دخولهم في دعوة التوحيد، وتبعهم في ذلك أكثر أهل الحصون المجاورة، مما شجع ذلك السيد أبو حفص على إخضاع المزيد من المدن والحصون، فبعث الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم على رأس حملة موحدية جعل وجهتها مدينة بسطة، فافتتحها عنوة وادخلها في طاعة الموحدين[١٢٥].

ويظهر أن حالة فقدان الثقة بابن مردنيش في تلك الفترة قد أخذت بالتصاعد حتى وصلت إلى أبناء العمومة، إذ نجد أن ابن عمه وصهره على ابنته وهو أبو عبدالله محمد بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش، المعروف بـ "ابن صاحب البسيط"[١٢٦]، قد خلع طاعته في مدينة المرية، وأعلن دخوله في دعوة التوحيد، وتعاون مع محمد ابن هلال أحد قادة ابن مردنيش السابقين، وقبضا على ابن مقدام والي المدينة من قبل ابن مردنيش

وقتلاه، ثم بعثا إلى السيد أبي حفص وهو في محلته بفحص مرسية يبلغانه بأمرهما، ويسألانه عونه وإنجاده، فوجه إليهم قوة من الموحدين لإعانتهم، ولما خلصت هذه الأنباء لابن مردنيش اختل عقله فأمر بقتل اخته زوجة محمد ابن عمه وأولادها، فحملوا إلى البحر بقرب بلنسية واغرقوا فيه على أشنع حال وأقبح مقال[١٢٧].

توالت مدن شرق الأندلس بالتوحيد وخلع طاعة ابن مردنيش، فعندما بلغ أهل جزيرة شقر[١٢٨](Jucar) توحيد مدينة بسطة والمرية، بادروا هم بدورهم إلى إعلان الطاعة والتوحيد، فهاجموا النصارى الذين كانوا ببلدتهم وأخرجوهم منها، ثم توجهوا للسيد أبي حفص في محلته بظاهر مرسية، فأحسن إليهم ووجه معهم واليًا عليهم قائدهم السابق أبو أيوب بن هلال الشرقي[١٢٩].

كانت هذه رواية ابن صاحب الصلاة، أما ابن الآبار فله رأي آخر في توحيد جزيرة شقر، فيقول أنه لما ضعف أمر ابن مردنيش في شرق الأندلس، وخلع صهره ابن همشك طاعته في جيان، ثم ابن عمه أبو عبدالله محمد بالمرية، واستوحش ابن مردنيش حتى من نفسه، خاف أبو بكر أحمد بن سفيان والي جزيرة شقر لابن مردنيش على نفسه من سيده، فأعلن الدعوة للموحدين، وعندما علم ابن مردنيش بذلك أمر أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بقتاله، فسير إليه أبي الحجاج قوة من الفرسان، حاصرت جزيرة شقر وضيقت عليها بدءًا من منتصف شوال من سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، وحتى منتصف ذي الحجة من نفس العام، وإمدادات ابن مردنيش وأخيه أبو الحجاج تتوافد على حصار المدينة، وفي الوقت الذي ظن فيه ابن مردنيش أن المدينة شارفت على التسليم، وقد سار بنفسه لمحاصرتها، اقتحمت قوة موحدية بقيادة أبو أيوب بن هلال – معاون ابن صاحب البسيط – الجزيرة فتولى ضبطها والدفاع عنها بعد أن تنازل له ابن سفيان عن ذلك، واستمر ابن هلال في دفع الحصار اشهرًا حتى اعتل ابن مردنيش ولحق بمرسية قاعدته ومقر رياسته، ولم يفك الحصار إلا بوفاته[١٣٠].

لم تنقطع المصائب في التكالب على ابن مردنيش، والتي كانت جميعها تنذر بان عاقبته قد دنت، ولكن هذه المرة جاءت من حيث لا يحتسب، وذلك أن الفونسو الثاني (Alfonso II) وريث قطلونية والذي أصبح ملك أرغون منذ عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، وورث بعد ذلك كل المناطق الجنوبية لفرنسا[١٣١]، وجد في ضغط الموحدين على ابن مردنيش فرصة مناسبة لغزو أراضي بلنسية المتاخمة لحدود قطلونية، فاستولى على عدة مواقع وحصون منها، ثم أرسل حملة برية وبحرية لغزو بلنسية، فتولى أبو الحجاج يوسف أخو ابن مردنيش مدافعة القوات البرية، وتولى ابن قاسم قائد اسطول ابن مردنيش مدافعة السفن النصرانية فهزمها وأحرق بعض سفنها[١٣٢].

وفي الوقت الذي كان فيه ابن مردنيش يكابد الأمرّين؛ استيلاء الموحدين على معظم بسائطه، ومحاصرتهم لقاعدة ملكه من جهة، وغارات ملك أرغون من جهة أخرى، ناهيك عن انشقاق معظم قادته ووزرائه وقرابته، جاءته الضربة القاضية بعبور الخليفة أبي يعقوب يوسف نفسه إلى جزيرة الأندلس يوم ١٧ رمضان سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، في جموع جرارة ناهزت المائة ألف فارس من العرب والموحدين، فوصل إشبيلية يوم الجمعة ١٢ شوال من نفس العام، وكان نزول خبر جواز الخليفة يوسف للأندلس كالصاعقة على ابن مردنيش فأيقن أن نهايته قد حانت لا مناص، وأن الخليفة ما جاء إلا لإتمام تملك الجزيرة والتغلب على ما في يده من أعمال[١٣٣].

ولما بلغ للسيد أبي حفص نبأ عبور الخليفة للأندلس، بادر إلى رفع الحصار عن مرسية وذلك في آخر شهر ذي الحجة من سنة (٥٦٦هـ/١١٧١م)، وسار إلى إشبيلية للقاء أخيه أبي يعقوب، فوصلها في ١٥ محرم سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م)، فتلقاه الخليفة بتبريز عظيم وسرور جسيم، وكان أن وفد معه جماعه من أعيان وفرسان شرقي الأندلس من مرسية وما جاورها راغبين في البيعة والتوبة، فأنعم عليهم الخليفة بمال كثير وكسوة كاملة[١٣٤]، "وأمر لهم بظهائر كتبت لهم بتحرير أموالهم، وتقرير آمالهم، فتسامع أهل الشرق بما فعل معهم فجاءوا عند ذلك أفواجًا، أفرادًا وأزواجًا، حتى انفرد صاحبهم ابن سعد وتمادى به فكره إلى القبر واللحد"[١٣٥].

حاول ابن مردنيش عبثًا أن يستغل مسير السيد أبي حفص بعسكره إلى إشبيلية، فخرج بقواته متنفسًا الصعداء، لاسترداد جزيرة شقر من ابن هلال الذي

تغلب عليها باسم الموحدين، لكنه سرعان ما اكتشف عجزه عن استردادها، فأرسل إلى أخيه أبي الحجاج في بلنسية أن يأتيه بنفسه على وجه السرعة لمعاونته ضد ابن هلال، وهنا تضطرب الروايات التاريخية في تحديد موقف أبي الحجاج من أخيه في ظل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها، فابن صاحب الصلاة يذكر روايتين متناقضتين، يقول في الأولى أن أبا الحجاج قد حضر لأخيه لكنهما عجزا عن استرداد الجزيرة، فعادا منها خاسرين خائبين، ثم أن أبا الحجاج بعد عودتهما من جزيرة شقر أظهر التوحيد، فلما علم بذلك ابن مردنيش زادت علته بالذهول، وحضرت منيته[١٣٦]. أما الرواية الثانية فيشير فيها إلى أن أبي الحجاج لم يستجب لنداء أخيه ابن مردنيش في معاونته ضد ابن هلال ومحاصرة جزيرة شقر، وذلك لأنه في هذه الأثناء كان قد أعلن التوحيد، فيقول: "وظهر من يوسف بن مردنيش لأخيه محمد في منازلته جزيرة شقر التقصير به وعدم المعونة لمذهبه في قتال ابن هلال عدوه، وتحقق من اخيه الانحراف، والميل إلى الموحدين والانعطاف، فزاد كيده المًا، واتصلت نفسه سقمًا، فرجع إلى مرسية لغير طيه، ولازمته العلة المزمنة بأسباب المنية.. وقل عونه من الله ومن الناس هناك، وعاد صبحه كالليل الحالك وفزع من اذايته أهله وقرابته"[١٣٧]. ويبدو أن الاضطراب والغموض الذي شهدته فتنة ابن مردنيش في أيامها الأخيرة، قد انعكس حتى على الروايات التاريخية وهذا ما نلمسه في تباين روايات المؤرخ المعاصر ابن صاحب الصلاة.

أما ابن الخطيب فيلمح إلى أن أبا الحجاج قد فر عن أخيه محمد إلى الموحدين قبل عبور الخليفة أبو يعقوب إلى الأندلس، أي في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)[١٣٨]، وفي رواية أخرى أن أبا الحجاج لما رأى تجهم الحوادث مع أخيه، دعا في بلنسية لبني العباس وكاتب الخليفة المستنجد بالله، فكتب له بالعهد والولاية ثم بايع للموحدين سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)[١٣٩]، وعلى الرغم مما عليه هذه الروايات من تباين إلا أنها تتفق جميعًا على أن توحيد أبو الحجاج يوسف بن سعد تم في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، وأن توحيده كانت آخر الضربات الموجعة التي نزلت بأخيه من قرابته وأعوانه، فألزمته فراش الموت حتى حضرت منيته، وهذا ما يؤكده ابن عذاري بقوله: "فلما تحقق محمد طاعة أخيه زاد عليه الذبول وفسد عقله بالذهول فاشتدت علته وحضرت منيته"[١٤٠].

ومهما يكن من أمر، ظل ابن مردنيش على عناده فلم يهن ولم يتنازل عن كبريائه فيعلن خضوعه للموحدين، غير أن علته التي لازمته السنة الأخيرة من حياته لم تمهله، فمات وهو على كرسي عرشه، في مقر رئاسته في مدينة مرسية، في العاشر من رجب سنة ٥٦٧هـ/ ٦ آذار ١١٧٢م، وهو في الثامنة والأربعين من عمره[١٤١].

هذا وقد تباينت الروايات التاريخية في تعليل السبب المباشر لوفاته، فالبيذق المؤرخ المعاصر يذكر أن ابن مردنيش اغتاظ لما حل به من قيام أخيه ببلنسية، وخروج صهره بجزيرة شقر، فحمق من أجل ما حلّ به، حتى كانت وفاته[١٤٢]، في حين أن ابن صاحب الصلاة وابن الآبار وابن عذاري يتفقون على أن وفاته كانت من العلة التي لحقت به أثناء محاصرته لجزيرة شقر في أواخر سنة (٥٦٦هـ/١١٧١م)، جراء علمه بالتحاق أخيه يوسف بالدعوة الموحدية، فغادر جزيرة شقر عليلاً إلى مرسية، وهناك اشتدت عليه علته فم يزل في حالة ذبول، وفسدان عقل وذهول، إلى أن حضرت منيته[١٤٣].

ويورد ابن خلكان في خبر وفاة ابن مردنيش روايتين، جاء في الأولى أن الأمير أبو عبدالله محمد بن مردنيش لما علم بدخول الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى جزيرة الأندلس في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس "حمل على قلبه فمرض مرضًا شديدًا ومات"[١٤٤]. وجاء في الثانية " أن أمه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته، فنصحته وأغلظت عليه في القول، فتهددها وخافت بطشه، فعملت عليه فقتلته بالسم"[١٤٥]. ويورد السلاوي رواية بنفس المعنى فيقول: "قيل أن أمه سمته لأنه كان قد أساء إلى خواصه وكبراء دولته، فنصحته فتهددها وخافت بطشه فسمته"[١٤٦].

أما ابن الخطيب فيقول في وفاة ابن مردنيش: "فقضي عليه عقب انصرافه من منازلة جزيرة شقر، بادر اليها بعد اقلاع السيد عنها، وعجز عن قتالها، فكر

إلى مرسية، فتوفي عاشر رجب من عام (٥٦٧هـ/١١٧٢م)"[١٤٧].

بينما اكتفى المراكشي بالإشارة إلى أن وفاته كانت خلال الحصار، فيقول: "ودخل محمد بن سعد مدينة مرسية مستعدًا للحصار، فضايقه الموحدون، وما زالوا محاصرين له إلى أن مات وهو في الحصار حتف أنفه"[١٤٨].

وكيفما كان الأمر، بادر أبناء ابن مردنيش على أثر وفاة والدهم بإعلان الإذعان والطاعة للأمير أبي يعقوب يوسف، وفي هذا الشأن يذكر البيذق أن طاعة أبناء ابن مردنيش ودخولهم في الدعوة الموحدية، جاءت تنفيذًا لكتاب العقد الذي بعث به ابن مردنيش في آخر أيامه للخليفة أبي يعقوب والذي يعلن فيه أنه خليفة على أولاده من بعده[١٤٩]. في حين يورد لنا المراكشي في نفس الموضوع روايتين، جاء في الأولى أن أقارب ابن مردنيش وحاشيته عملوا على كتم خبر وفاته، إلى أن حضر أخيه أبو الحجاج يوسف بن سعد من بلنسية، وكان قد دخل في طاعة الموحدين من قبل، فتدارس الأمر مع أكابر أبناء أخيه، واتفق رأي الجميع " على أن يلقوا أيديهم في يد أمير المؤمنين أبي يعقوب، ويسلموا إليه البلاد، ففعلوا ذلك "[١٥٠].

وجاء في الثانية أن ابن مردنيش لما حضرته الوفاة، جمع أولاده الثمانية، وهم: هلال – يكنى أبا القمر، وهو أكبر أولاده وإليه أوصى – وغانم والزبير وعزيز ونصير وبدر وأرقم وعسكر، فكان فيما أوصاهم به أن قال " يا بني إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر، واتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم، وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم، فسلموا إليهم الأمر اختيارًا منكم، تحظوا بذلك عندهم، قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم، وقد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخلوها عنوة، ففعلوا ما أمرهم به"[١٥١].

ويؤكد ابن صاحب الصلاة وهو المؤرخ المعاصر للأحداث، أن أبا القمر هلال قد خلف أباه في الحكم، ثم بادر بالاتفاق مع قادته وأشياخه بالطاعة إلى الموحدين، فكتب بذلك للخليفة أبي يعقوب معلنًا له توحيده وتسليمه مدينة مرسية، فقبل منه الخليفة ذلك أحسن القبول، ووجه إليه أخاه السيد أبو حفص بعسكر من الموحدين ليتسلم المدينة ويتقبل طاعته، وعندما وصل السيد أبو حفص إلى مرسية بادر أهلها إلى الخروج إليه للترحيب به، فبادلهم حفاوة الترحيب ووعدهم بالخيرات ورفع المظالم عنهم، ثم وعظهم وحثهم على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة[١٥٢].

وبعد أن استقر السيد أبو حفص في مرسية، سار أبو القمر هلال إلى إشبيلية وبصحبته جميع اخوته وأصحاب أبيه من قادته وكبراء أجناده، فوصلها في آخر يوم من شهر شعبان مع طلوع هلال رمضان من سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م)، وكان قد خرج لاستقباله السيد أبو زكريا وأخوه أبو إبراهيم أخوا الخليفة مع جماعة من الموحدين، فلقوه على بعد عدة أميال من إشبيلية، ودخل في صحبتهم إلى مجلس الخليفة[١٥٣]، وبعد السلام على الخليفة قدم هلال بيعته بحضور السادة الأخوة وأشياخ الموحدين، ثم أنزله الخليفة وصحبه في قصره والدور المتصلة به، وغمرهم بوافر عطفه وإكرامه، وفي اليوم التالي حضر أصحاب ابن مردنيش القادمين مع ابن هلال إلى مجلس الخليفة، وفي مقدمتهم شيخهم أبو عثمان سعيد بن عيسى كبير أجناد الشرق، فقدموا بيعتهم وطاعتهم، ولما أكملوا البيعة أبدوا رغبتهم للخليفة في أن يقوم بغزو ما جاورهم من بلاد النصارى، فوعدهم الخليفة بتحقيق هذه الرغبة[١٥٤].

وهكذا تم للموحدين إخضاع شرق الأندلس، فعادت بذلك أجزاء الجزيرة تشد بعضها بعضًا تحت راية الموحدين، بعد فترة صراع استمرت قرابة ربع قرن، وعلى الرغم مما أبداه ابن مردنيش من عناد وحرب للموحدين وغزو لقواعدهم، حفظ الخليفة أبو يعقوب لآل مردنيش مكانتهم بعد أن أخضع بلادهم، فعين أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش واليًا على بلنسية وجهاتها، وعين غانم بن محمد بن مردنيش قائدًا على أساطيل العدوة في مدينة سبتة، واستبقى أبو القمر هلال أكبر أبناء ابن مردنيش لديه، فعاش في حضرته رفيع الرتبة، عالي المنزلة، ثم أنه اتبع ذلك كله بزواجه من ابنة ابن مردنيش "زائدة" مانحها التفضيل والتقديم على جميع زوجاته.

ويذكر ابن الخطيب أن الخليفة أبو يعقوب ما استبقى لآل مردنيش سلطانهم في شرق الأندلس، وحفظ لأبناء

ابن مردنيش منزلتهم، إلا لأنه عندما علم ما أشهد محمد بن مردنيش على نفسه عندما يئس من أمره، وعلم بتصيير ملكه للموحدين، بإيصاءه الخليفة أبي يعقوب على ولده وأهله، ورغب منه قبول ذلك، كان أن رق الخليفة لهذا القصد وأخذ الوصية على محمل الجد[١٥٥].

ثالثًا: آثار ثورة ابن مردنيش على الدولة الموحدية

لقد كانت ثورة ابن مردنيش من أكبر الثورات وأخطرها التي شهدتها بلاد الأندلس خاصة ودولة الموحدين عامة في عهد الخليفة الموحدي الثاني أبي يعقوب يوسف، وعلى الرغم أن الموحدين استطاعوا في آخر الأمر أن يقضوا على هذه الثورة ويضموا بلاد شرق الأندلس إلى حدود دولتهم بصورة أو أخرى، إلا أن ابن مردنيش استطاع بثورته تلك أن يترك آثارًا جسيمة على الدولة الموحدية، بانت معالمها على مختلف نواحي الدولة السياسية والعسكرية والمادية والمعنوية، ولعل من أبرزها ما يلي:

١. أنهكت الثورة قوة الموحدين وألهتهم عن الاستعداد لمواجهة عدوهم الرئيسي هناك وهو الإمارات والممالك النصرانية، الذين وجدوا في ابن مردنيش قوة أندلسية تحارب المسلمين نيابة عنهم.

٢. شغلت ثورة ابن مردنيش الموحدين، وجعلتهم يركزون جل قواهم ضد ابن مردنيش، مما اتاح الفرصة للطامعين والمتذمرين من أهل المغرب لأن ينتهزوا تلك الفرصة ويشقوا عصا الطاعة[١٥٦].

٣. اضطر الخليفة أبو يعقوب إلى مهادنة النصارى لكي يتفرغ لمواجهة ابن مردنيش، وهذا ما هز هيبة الموحدين وسلطانهم وقوتهم في نفوس الأمراء المسلمين، والنصارى الإسبان[١٥٧].

٤. استطاع ابن مردنيش تكبيد الموحدين خسائر فادحة بالأموال والأرواح، وهذا ما أظهر للأسبان أولاً وللأندلسيين ثانيًا وللمغاربة ثالثًا، أن الموحدين ليسوا قوة لا يمكن قهرها[١٥٨].

٥. ظلت ثقة أهل شرق الأندلس بالدولة الموحدية مهزوزة طيلة فترة ثورة ابن مردنيش، نظرًا لعجزهم أمام هذا الثائر، بدليل أنهم لم يبايعوا الموحدين إلا بعد أن انتهى أمر ابن مردنيش أو شارف على ذلك، فنجد مثلاً أن أبو عبد الله بن الفرس[١٥٩]، وهو أحد علماء الأندلس في الفقة والحديث والقراءات، ظل يتنقل بين بلنسية ومرسية طوال فتنة ابن مردنيش، وتولى في هذه الأثناء الشورى في مرسية والقضاء في بلنسية ثم تفرغ للتدريس في مرسية إلى أن كان نهاية ثورة ابن مردنيش، ثم ذهب لإشبيلية لإعلان البيعة للموحدين[١٦٠].

٦. كانت ثورة ابن مردنيش احدى البذور التي أضعفت دولة الموحدين منذ قيامها، لما كان لها من دور في استنزاف الكثير من وقتهم ورجالهم وأموالهم[١٦١].

٧. غرست ثورة ابن مردنيش مفهوم التمرد والثورة لدى القبائل الخاضعة لسلطان الموحدين، إذ لم تكد تمر إلا سنوات قليلة على نهاية ثورة ابن مردنيش حتى اشتعلت الثورة في أماكن أخرى من بلاد المغرب الأدنى والأقصى، هذا ناهيك عن ثورة بني غانية في الجزائر الشرقية[١٦٢] سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، والتي استنزفت قوى الدولة لقرابة نصف قرن حتى سنة (٦٣١هـ/١٢٣٤م)[١٦٣].

خَاتِمَةٌ

خلصت هذه الدراسة التي تناولت ثورة ابن مردنيش في شرق الأندلس وجهود الموحدين في القضاء عليها (٥٤٦-٥٦٧هـ/١١٥٢-١١٧٢م)، إلى مجموعة من الحقائق، أهمها:

أثبتت الدراسة أن محمد بن مردنيش يرجع في نسبه إلى أصل أسباني، وأن جده اعتنق الإسلام فتسمى "محمد"، لينال بذلك شرف النسب العربي كسائر الأسر التي نشأت بجوار دار الإسلام وكانت ترنو إلى هذا النسب لأسباب دينية أو دنيوية، وأن ابن مردنيش لم يكن يتوجس خيفة من اظهار أصله ونسبه هذا من خلال تشبهه بالنصارى في زيهم من اللباس الضيق، وإيثاره التحدث باللغة القشتالية على العربية، وإكثاره في جيشه من المرتزقة النصارى القشتاليين والبشكنس والقطلان.

أظهرت الدراسة أن ابن مردنيش كان حليفًا مخلصًا للنصارى الإسبان، ومناصرًا لهم على المسلمين منذ بداية إمارته على شرق الأندلس وحتى وفاته، وأن النصارى ما وقفوا إلى جانب ابن مردنيش وشدوا من أزره، إلا لأنهم وجدوا فيه وسيلة لتنفيذ مشاريعهم ومخططاتهم نيابة عنهم في الأندلس الإسلامية.

بدأ النزاع العسكري الفعلي بين ابن مردنيش والموحدين منذ عام ٥٥٤/١١٦٠م، وكانت الحرب سجالاً بينهما، فكانت النتيجة تتفاوت بين النصر تارة والهزيمة تارة أخرى، وكان من أشهر المعارك بين الطرفين؛ معركة وادي لك ومعركة فحص الجلاب سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م.

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل الموحدين للقضاء على ثورة ابن مردنيش من خلال إرسال الحملات والجيوش العديدة بقيادة أخوة الخليفة ومشايخ وولاة مدن الأندلس، إلا أن حسم تمرد ابن مردنيش وإنهاء ثورته لم يأت إلا بعبور الخليفة أبي يعقوب يوسف نفسه إلى جزيرة الأندلس سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م، في جموع جرارة ناهزت المائة ألف فارس؛ إذ ما أن وصل خبر عبور الخليفة للأندلس لعلم قادة ووزراء ابن مردنيش وسكان مدن شرق الأندلس حتى أعلنوا خلع طاعته، أما ابن مردنيش فجاء خبر عبور الخليفة لمسامعه كالصاعقة، إذ حمل على قلبه وأصيب بمرض ألزمه الفراش عامًا حتى حضرت منيته.

الملاحـــق

خارطة رقم (١)

تبين حدود مملكة محمد بن مردنيش في الأندلس

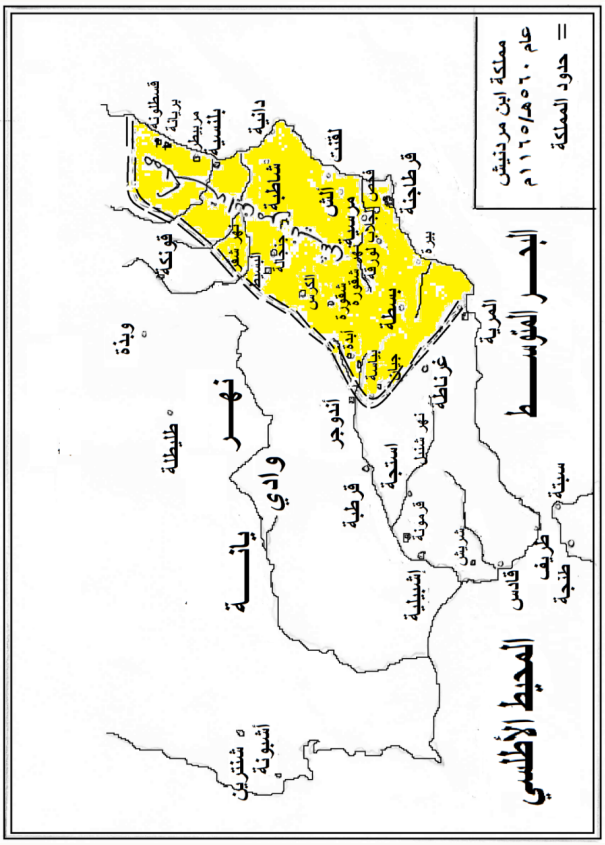

الإحالات المرجعية:

(١) **طرطوشة**: مدينة في شرق الأندلس، على ساحل البحر المتوسط، تقع في سفح جبل إلى الشمال الشرقي من بلنسية. انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م، ص٣٩١. سيشار إليه لاحقًا: الحميري، **الروض المعطار**؛ ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (عاش في القرن ٦هـ/١٢م)، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة**، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، نوفمبر ١٩٥٥م، ص٢٨٥-٢٨٦. سيشار إليه لاحقًا: ابن غالب، فرحة الأنفس.

(٢) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صار، بيروت (د.ت)، ج٧، ص١٣١. سيشار إليه لاحقًا: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**.

(٣) **أفراغة**: مدينة بالأندلس، تقع إلى الغرب من مدينة لاردة، بينهما ثمانية عشر ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٤٨.

(٤) ابن الخطيب، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ٤ مجلدات، ط١، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٤م، ج٢، ص١٢١-١٢٢. سيشار إليه لاحقًا: ابن الخطيب، **الإحاطة**.

(٥) ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، **الحلة السيراء**، جزءان، ط٢، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٣٢ . سيشار إليه لاحقًا: ابن الآبار، **الحلة السيراء**؛ ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية، أو **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦م، ص٢٥٩. سيشار إليه لاحقًا: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٢١.

(٦) **شذونة** (Sidonia): هي كورة جليلة القدر بالأندلس، متصلة بكورة مورور، من مدنها قادس وشريش. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣٩.

(٧) **تدمير** (Tudmir): كورة بالأندلس، تقع شرق مدينة قرطبة، وهي من بنيان الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم، ومسافة ما بينها وبين قرطبة للراكب القاصد سبعة أيام. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٨) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٣٢؛ أبو الفضل، محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ/١١٢١-١٢٨٧م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٩٦م، ص٩٧. سيشار إليه لاحقًا: أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي.

(٩) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٣٢، حاشية رقم (١).

(١٠) **قرطاجنة الحلفاء**: مدينة بالأندلس، تقع بالقرب من ألش من أعمال تدمير، وهي فرضة مدينة مرسية. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٣٩؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (٥٦٢٦/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م، ج٤، ص٣٢٣. سيشار إليه لاحقًا: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**.

(١١) أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص٩٨.

(١٢) **البشكنس** (Vascones): هم سكان بلاد نافار (Navarra) التي كانت بنبلونة عاصمة لها، وتقع نافار شرق مملكة ليون، محاذية لجبال البرت التي تفصل بين اسبانيا وفرنسا. انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ط١، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٦٨م، ص٧٩. سيشار إليه لاحقًا: البكري، جغرافية الأندلس.

(١٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦-٢٦١.

(١٤) **شنتمرية الشرق**: مدينة بالأندلس، تقع قرب أحد فروع نهر إبره (Ebro) إلى الشرق من مدينة شنتبرية، وشمال شرق مدينة مجريط. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٩.

(١٥) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٣٣؛ أبو رميلة، هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط١، دار الفرقان، عمان ١٩٨٤م، ص١٠٨. سيشار إليه لاحقًا: أبو رميلة، علاقات الموحدين.

(١٦) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي (كان حيًا سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، السفر الثاني، ط١، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٤م، ص١١٥. سيشار إليه لاحقًا: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**.

(١٧) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص١٢٢.

(١٨) **بلنسية**: مدينة مشهورة تقع في شرق الأندلس على ساحل البحر المتوسط. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٩٧.

(١٩) الدوري، تقي الدين عارف، **تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس**، ط١، منشورات جامعة ناصر الخمس، ليبيا ١٩٩٧م، ص٢٦٢. سيشار إليه لاحقًا: الدوري، تاريخ العرب المسلمين.

(٢٠) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، جزءان، ط١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م، ج١، ص٦٤. سيشار إليه لاحقًا: الضبي، بغية الملتمس.

(٢١) **لورقة**: مدينة كبيرة بالأندلس، وهي قاعدة كورة تدمير، بينها وبين مرسية أربعون ميلاً. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٥١٢.

(٢٢) هو عبد الرحمن جعفر بن ابراهيم المعافري، يعرف بأبي محمد بن الحاج، وهو من أهل لورقة وسكن مرسية، وقد برع في الآداب، واستدعي للكتابة بحضرة مراكش سنة (٥٢٨هـ/١١٣٤م)، ثم عفي، فعاد إلى مرسية هاجرًا خدمة الأمراء، زاهدًا في الدنيا، فلزم المسجد إلى أن ولاه المرسيون أمرهم سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وكانت وفاته بعد سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. انظر: ابن الآبار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، ط١، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م، ص٢٣٨-٢٤٠. سيشار إليه لاحقًا: ابن الآبار، **المعجم**؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج٢، ص٤٧٠.

(٢٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني، من أهل مرسية، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن أبي جعفر، وكانت وفاته سنة ٥٥٤هـ/١١٤٥م. انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٥٨؛ ابن الآبار، **التكملة** لكتاب الصلة، ٤ أجزاء، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ج١، ص٣٦٥. سيشار إليه لاحقًا: ابن الآبار، **التكملة**.

(٢٤) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٢٨.

(٢٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد القيسي، من أهل مرسية ورئيسها في الفتنة، حيث رأس بعد انقراض الدولة المرابطية يسيراً ثم تخلى عن ذلك رغبة في السلامة، توفي بمراكش سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م). انظر: ابن الآبار، **التكملة**، جـ٢، ص٤٧؛ ابن الآبار، **الحلة السيراء**، جـ٢، ص٢٢٧-٢٣٣؛ ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (كان حيًا في منتصف القرن ٧٥/ ١٣م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط٢، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م، ص١٠١. سيشار إليه لاحقًا: ابن القطان، نظم الجمان.

(٢٦) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عياض، كان أحد كبار قادة جند الثغر في بلنسية قبل أن يدعوه أهل مرسية لتولي أمر مدينتهم، توفي سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م. انظر: ابن الآبار، **الحلة السيراء**، جـ٢، ص٢٣٠-٢٣٢؛ الدوري، تاريخ العرب المسلمين، ص٢٦٢.

(٢٧) الضبي، بغية الملتمس، جـ١، ص٦٥؛ ابن الآبار، **الحلة السيراء**، جـ٢، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٢٨) سالم، السيد عبد العزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص٧٥. سيشار إليه لاحقًا: سالم، **في تاريخ وحضارة الإسلام**؛ الصلابي، علي محمد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي**، ط١، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥م، ص٩٠. سيشار إليه لاحقًا: الصلابي، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**.

(٢٩) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص٢٩٩.

(٣٠) **برشلونة**: تقع في الركن الشمالي الشرقي من اسبانيا، على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين طركونة خمسون ميلاً. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٨٦.

(٣١) **قشتالة**: تشكلت مملكة قشتالة في الأراضي الواقعة بين مملكتي ليون في الغرب، ونبرة في الشرق. انظر: حتاملة، محمد عبده، **موسوعة الديار الأندلسية**، جزءان، ط١، عمان ١٩٩٩م، جـ٢، ص٨٤٢-٨٤٦. سيشار إليه لاحقًا: حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية**.

(٣٢) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص١٢٤.

(٣٣) أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص٩٩؛ الغناي، مراجع عقيلة، **قيام دولة الموحدين**، ط١، المكتبة الوطنية، بنغازي ١٩٧١م، ص١١٩. سيشار إليه لاحقًا: الغناي، **قيام دولة الموحدين**.

(٣٤) الصلابي، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، ص٣٥٥.

(٣٥) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، ولد في قرية تاجرة من عمل تلمسان سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وبويع بالخلافة عقب وفاة المهدي صاحب الدعوة الموحدية سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م، وهو الذي قضى على دولة المرابطين وملك ديارهم، توفي سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م ودفن في تينملل إلى جوار شيخه المهدي. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، جـ٣، ص٢٣٧-٢٤١؛ المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط١، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت ٢٠٠٦م، ص١٤٨. سيشار إليه لاحقًا: المراكشي، **المعجب**.

(٣٦) **بسطة**: مدينة بالأندلس، من أعمال كورة جيان، تقع بالقرب من مدينة وادي آش، بينها وبين جيان ثلاثة مراحل. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٨٦.

(٣٧) **وادي آش**: مدينة كبيرة بالأندلس، تقع ضمن كورة إلبيرة، بين غرناطة وبجاية، بينها وبين غرناطة ثلاثة وخمسون كيلو متراً. انظر: حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية**، جـ٢، ص١١١٩.

(٣٨) هو أبو مروان عبد الملك بن شلبان، تولى ضبط مدينة بلنسية بعد مقتل صاحبه الثائر بها على ابن مردنيش، أبي الحجاج يوسف بن حامد، غير أنه لم يلبث أن قتل سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م، على يد ابن همشك. انظر: ابن الآبار، **المعجم**، ص١٨٤؛ ابن الآبار، **التكملة**، جـ٢، ص١٢.

(٣٩) ابن الآبار، **التكملة**، جـ٢، ص١٢؛ ابن الآبار، **المعجم**، ص١٨٤؛ عنان، محمد عبد الله، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م، ق١، ص٣٣٥. سيشار إليه لاحقًا: عنان، **عصر المرابطين والموحدين**؛ الغناي، قيام دولة الموحدين، ص١٢-١٢١.

(٤٠) بروفنسال، ليفي، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط ١٩٤١م، ص٣٥-٣٧. سيشار إليه لاحقًا: بروفنسال، **مجموع رسائل موحدية**.

(٤١) انظر رسالة ابن طاهر للخليفة عبد المؤمن في: ابن القطان، **نظم الجمان**، ص١٠١-١٢٢.

(٤٢) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، جـ٢، ص٢٣٣.

(٤٣) علام، عبد الله علي، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م، ص١٩-١٩١. سيشار إليه لاحقًا: علام، **الدولة الموحدية بالمغرب**؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص١١١-١١٢.

(٤٤) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٣٧٥.

(٤٥) السيد، محمود: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٧، ص٥٤. سيشار إليه لاحقًا: السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**؛ خلف الله، ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ٥٢٤-٥٩٣٦/١١٣٠-١٥٢٩م)، دار المعارف (د.م) ١٩٨٥م، ص١١٤. سيشار إليه لاحقًا: خلف الله، **العلاقات**.

(٤٦) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين**، ط١، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٥م، ص٧٣-٧٤. سيشار إليه لاحقًا: ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦١.

(٤٧) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ١، ص٣٠٠-٣٠١؛ خلف الله، **العلاقات**، ص١١٣.

(٤٨) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦١.

(٤٩) سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٨م، ص٧١٢. سيشار إليه لاحقًا: سالم، **تاريخ المغرب**.

(٥٠) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٥١.

(٥١) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٦٩-٢٧٠؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين**، ص١٢٢.

(٥٢) Huci, Miranda, Historia Politica Del Impeerio Almohade, t1, Tetwan 1956, p225.)

(٥٣) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٨؛ عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص١٥.

(٥٤) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٨.

(٥٥) الغناي، **قيام دولة الموحدين**، ص١٣٩.

(٥٦) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧.

(٥٧) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦.

(٥٨) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٨-٨٩؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٢٣.

(٥٩) **أندوجر**: حصن بالأندلس، يقع على نهر الوادي الكبير، إلى الشرق من مدينة قرطبة. انظر: أرسلان، شكيب، **الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية**، ط١، ٣ أجزاء، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦م، ج١، ص١١٩. سيشار إليه لاحقًا: أرسلان، **الحلل السندسية**.

(٦٠) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧١.

(٦١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٨؛ Huci, Historia, t1, p.225.

(٦٢) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص١٦؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٢٤.

(٦٣) **غليره**: تقع شمال مدينة بسطة، جنوب قرباقة، وإلى الغرب من بلش. انظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧١؛ Huci, Historia, t1, p.226.

(٦٤) قرباقة: حصن بالأندلس، يقع إلى الشما من مدينة مرسية، ينسب إليه الشاعر أبو الحسن العباس القرباقي. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣١٩.

(٦٥) **شقورة**: مدينة بالأندلس، تقع إلى الشمال من مدينة مرسية، بينها وبين اقليش ثلاثة مراحل، وكانت شقورة حسب رواية ياقوت الحموي دار إمارة ابن همشك. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٥٥؛ أرسلان، **الحلل السندسية**، ج١، ص١١٦.

(٦٦) **قلية**: حصن صغير بالأندلس، يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بسطة. انظر: المراكشي، **المعجب**، ص٢٦٦؛ ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، جزءان، ط٤، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة (د. ت)، ج٢، ص٨٧. سيشار إليه لاحقًا: ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**.

(٦٧) بلش: أو بلج، بلدة صغيرة في شرقي الأندلس، تقع غربي مرسية، بين لورقة وبسطة. انظر: المراكشي، **المعجب**، ص٢٦٦-٢٦٧؛ Huci, Historia, t1, p.226.

(٦٨) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٦٩) **أرغونة**: قامت مملكة أرغونة أو أرغون في الجهة الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة الايبرية، في شريط ضيق من الأرض جنوب جبال البرت (البرانس). انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٩؛ أشباخ، يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ط٢، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨م، ص٩. سيشار إليه لاحقًا: أشباخ، تاريخ الأندلس.

(٧٠) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٩؛ السامرائي، خليل وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (د.ت)، ص٢٦٦. سيشار إليه لاحقًا: السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم**.

(٧١) ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت في منتصف القرن ١٤/٨هـ)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢م، ص٢١. سيشار إليه لاحقًا: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**؛ السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٢م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ٣ أجزاء، ط١، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م، ج١، ص٢٧٧. سيشار إليه لاحقًا: السلاوي، **الاستقصا**.

(٧٢) البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (كان حيًا في النصف الثاني من القرن ٦/١٢م)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧١م، ص٨٨. سيشار إليه لاحقًا: البيذق، **أخبار المهدي**.

(٧٣) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص١٦.

(٧٤) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٢٤؛ Huci, Historia, t1, pp.227-228.

(٧٥) العبادي، أحمد مختار، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص١٥١. سيشار إليه لاحقًا: العبادي، **صور من حياة الحرب والجهاد**.

(٧٦) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧٣.

(٧٧) أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٢٥.

(٧٨) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٤٨٤.

(٧٩) ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١.

(٨٠) **أوريولة**: مدينة وحصن بالأندلس، وهي قاعدة كورة تدمير، بينها وبين ألش خمسة عشر ميلاً. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٦٧.

(٨١) **ألش**: مدينة بالأندلس، تقع جنوبي غربي لقنت، على بعد عشرين كيلو مترًا منها. انظر: ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، ج٢، ص٢٧٣؛ عنان، محمد عبد الله: **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط٢، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦١م، ص١٥١. سيشار إليه لاحقًا: عنان، **الآثار الأندلسية**.

(٨٢) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٧٣-٢٧٦. وعن معركة فحص الجلاب انظر ايضًا: ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٨٩-٩٠؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٢٧٧؛ عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص١٦-١٧؛ الغناي، **قيام دولة الموحدين**، ص١٣٩-١٤٠؛ Huci, Historia, t1, pp.227-228.

(٨٣) السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم**، ص٢٦٦؛ الغناي، **قيام دولة الموحدين**، ص١٤٠.

(٨٤) جعل ابن صاحب الصلاة تاريخ وصول أبو حفص لمراكش يوم الحادي عشر من ربيع الآخر، بينما ابن عذاري جعله يوم الثاني عشر من نفس الشهر، أما عنان فيرى أن يوم العاشر من ربيع الآخر هو تاريخ وصوله. انظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٨٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٩١؛ عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص١٩.

(٨٥) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص٩٢.

(٨٦) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٩٣-٢٩٧.

(٨٧) حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص٩٣٩.

(٨٨) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٣٢٣-٣٢٥.

(٨٩) السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم**، ص٢٦٧.

(٩٠) رندة: مدينة حصينة بأرض الأندلس، من أعمال تاكرنا قديمًا، تقع غربي مالقة على نهر ينسب إليها، هو نهر رندة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٧٣-٧٤.

(٩١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠١-١٠٢؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٢٧؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين**، ص١٢٥.

(٩٢) المراكشي، **المعجب**، ص١٨٣.

(٩٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص١٢٤.

(٩٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦١.

(٩٥) **مطريشة**: لعله مطرنيش، وهو حصن في شرق بلاد الأندلس، كان يؤمن بلاد الاسلام من ناحية مملكة أرغون. انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦٦؛ ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٩٦) أبو رميلة، **علاقات الموحدين**، ص١٢٧.

(٩٧) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٩٨) يذكر عبد الهادي التازي في تعليقه على أبني الجذع أنه لم يهتد بعد البحث الطويل لاسم هذين الوزيرين اللذين عرضا لهذا المصير الرهيب، في حين يترجم ابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب" إلى أخوين يعودان في نسبهما إلى ابن الجذع وهما: أبو يعقوب بن الجذع، وأبو محمد عبد الله بن الجذع، منوهًا إلى أنهما من كتاب ابن مردنيش، ولعل هذين الأخوين هما المقصودان في حادثة التعذيب تلك. انظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٢٨٨، هامش رقم (٢)؛ ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٩٩) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠٨.

(١٠٠) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦.

(١٠١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠٨.

(١٠٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٠٢.

(١٠٣) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٣٨٨-٣٨٩.

(١٠٤) **بياسة**: مدينة تقع على تل مرتفع مطل على نهر الوادي الكبير المنحدر إلى قرطبة، وتبعد إلى الشرق من جيان مسافة عشرون ميلاً. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص١٢١.

(١٠٥) أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص١٢٩.

(١٠٦) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠٨.

(١٠٧) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٠٢.

(١٠٨) بروفنسال، **مجموع رسائل موحدية**، ص١٤١-١٤٩.

(١٠٩) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٣٨٩.

(١١٠) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٣٨٩.

(١١١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠٨.

(١١٢) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٠٨-١٠٩.

(١١٣) هو أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي، من أهل قرية وقش بنواحي طلبيرة، قام بأمر ابن همشك، ضابطًا لأعماله ومصلحًا لأحواله، وعندما دخل ابن همشك في طاعة الموحدين تبعه في ذلك، وعرف عنه براعته في الأدب والشعر، توفي بمدينة مالقة سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م. انظر: ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٥٧-٢٦٦.

(١١٤) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦-٢٦١.

(١١٥) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٠٢.

(١١٦) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١١٠-١١١.

(١١٧) ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٢١١.

(١١٨) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٣٩٩-٤٠٠.

(١١٩) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٤٥-٤٦؛ الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، ص١٠٩-١١٠.

(١٢٠) **قيجاطة**: وتكتب كذلك قيشاطة، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع إلى الشمال الشرقي منها، بينها وبين شوذر ١٢ميلاً. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٨٨؛ حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٢٣.

(١٢١) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٣؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١١٢.

(١٢٢) الغناي، سقوط دولة الموحدين، ص١١٠.

(١٢٣) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٥٠.

(١٢٤) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١١٢-١١٣؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، ص١٣٣-١٣٤.

(١٢٥) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٥.

(١٢٦) **البسيط** (Albacete): مساحة واسعة من الأرض، تفصل بين كور قرطبة وغرناطة ومرسية وبلنسية، وقد قامت فيها عدة حصون مثل اللج وشلبطرة وجنجالة. انظر: ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

(١٢٧) البيذق، **أخبار المهدي**، ص٨٨-٨٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١١٣-١١٤.

(١٢٨) **جزيرة شقر**: مدينة صغيرة من بلاد الأندلس، سميت بذلك لاحاطة نهر شقر بها من جميع جهاتها، قبل مصبه في البحر المتوسط جنوب بلنسية، وهي على مسافة ١٨ ميلاً من بلنسية، و١٢ ميلاً من شاطبة. انظر: المراكشي، **المعجب**، ص٢٦٥؛ أرسلان، **الحلل السندسية**، ج٢، ص١٠٩-١١٠.

(١٢٩) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٥-٤٠٦.

(١٣٠) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦٧-٢٦٨.

(١٣١) Charles E. Champan: A History of Spain ,2nd, New Yourk 1966 ,p79.

(١٣٢) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٥٠-٥١.

(١٣٣) المراكشي، المعجب، ص١٨٣؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١١٨.

(١٣٤) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٨-٤٠٩، ٤٦٢.

(١٣٥) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٢١.

(١٣٦) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٧-٤٧١.

(١٣٧) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٠٦-٤٠٧.

(١٣٨) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٧-٢٧١.

(١٣٩) عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٥١.

(١٤٠) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٢٢.

(١٤١) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٧١.

(١٤٢) البيذق، **أخبار المهدي**، ص٨٨-٨٩.

(١٤٣) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٧١؛ ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٦٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٢٢.

(١٤٤) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص١٣١.

(١٤٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٧، ص١٣١.

(١٤٦) السلاوي، **الاستقصا**، ج١، ص٢٧٩.

(١٤٧) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٦٢.

(١٤٨) المراكشي، **المعجب**، ص١٨٤.

(١٤٩) البيذق، **أخبار المهدي**، ص٨٩.

(١٥٠) المراكشي، **المعجب**، ص١٨٤.

(١٥١) المراكشي، **المعجب**، ص١٨٤.

(١٥٢) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٧١.

(١٥٣) ابن عذاري، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص١٢٢.

(١٥٤) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص٤٧٢-٤٧٣؛ عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٥٦.

(١٥٥) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٧١.

(١٥٦) الصلابي، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، ص٣٥٦.

(١٥٧) العروي، عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ٣ أجزاء، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ...٢م، ج٢، ص١٧١. سيشار إليه لاحقًا: العروي، **مجمل تاريخ المغرب**.

(١٥٨) الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، ص٩١.

(١٥٩) هو محمد بن عبد الرحيم الانصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الفرس، وهو من ولد سعد بن عباده، ولد سنة ٥٥٠/١١٥٧م، وكانت وفاته بإشبيلية سنة ٥٥٦٧/١١٧٢م، وحمل منها ودفن في غرناطة. انظر: ابن الآبار، **المعجم**، ص١٨٤؛ ابن الآبار، **التكملة**، ج٢، ص٣٨-٣٩.

(١٦٠) أبا الخيل، محمد بن إبراهيم: **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى (٥٤٨٣/٩٠/١م- ٥٦٤٠/١٢٤٢م)**، ط١، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، بريده - السعودية ١٩٩٨م، ص٢٢٥. سيشار إليه لاحقًا: أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس**.

(١٦١) الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، ص٩٢.

(١٦٢) **الجزائر الشرقية** (البليار): تقع هذه الجزر إلى الشرق من الأندلس في البحر المتوسط، وتتكون من ثلاثة جزر كبيرة هي: ميورقة ومنورقة ويابسة. انظر: البكري، **جغرافية الأندلس**، ص٦٦.

(١٦٣) السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم**، ص٢٦٨-٢٧٥.